الدكتور محمد حقلي

الحركة أسلوب للحكم في العصر الوسيط

سلطة الرموز

مطبعة عين أسردون - بنلي ميلال
2016

الدكتور محمد حقي

الحركة أسلوب للحكم في المغرب والأندلس في العصر الوسيط

سلطة الرموز

مطبعة عين أسردون - بنلي ملال

2016

المؤلف: الدكتور محمد حقي

العنوان: الحركة أسلوب للحكم في العصر الوسيط

الناشر: مطبعة عين أسردون رقم 26 زنقة فاس حي الأدارسة بني ملال.

المطبعة: مطبعة عين أسردون

المدينة: بني ملال

السنة: 2016 (الطبعة الأولى)

رقم الأيداع القانوني: 2016MO1628

رقم التسلسل الدولي للكتب (ردمك): 978-9954-0-7551-7

الإهداء

إلى

أمير

وزهرتي حياتي هيثم وندى

التقديم

يلاحظ في الوقت الراهن أن الحكام في مختلف الدول؛ بما فيها بلدنا المغرب، والأنظمة يقومون بزيارات إلى أقاليم دولهم للالتقاء برعاياهم هناك والاطلاع على احوال تلك البلاد عن قرب. وتخصص لهذه الزيارات إمكانيات كبيرة وتحظى بعناية إعلامية ضخمة وتتبع رسمي وشعبي واسع. ويحافظ على هذا الاتصال المباشر مع المجال والسكان في عصر بلغت فيه وسائل الاتصال قمة التطور والتعقيد والتي بإمكانها أن تغني الحكام عن مشقة وتعب السفر والتنقل، مما يعني أن هذه الزيارات تقوم بأدوار كبيرة وتمارس سحرا خاصا وقويا على المحكومين. وقد وعى الحكام بهذا الدور منذ أقدم العصور وفي كل المناطق التي عرفت وجود سلطة حاكمة وما منطقتنا إلا جزء من هذا العالم.

تسمح المعطيات التي توفرها المصادر بتأكيد وجود هذه التحركات من طرف الحكام طيلة فترة العصر الوسيط سواء في شكلها البسيط أو المعقد حسب حجم وقوة الدولة ومستواها الحضاري وتطلعها إلى المعالي وكذلك حسب وفرة الكتابات عن الموضوع. ويظهر منها أن هذه السفرات بلغت الأوج في الفخامة والتنظيم في عهود الأمويين في الأندلس والموحدين والمرينيين في المغرب، مما يعكس قوة هذه الدول والرقي الحضاري الذي بلغته. وبناء على هذا المعطى خصصنا دراستنا لتحليل هذه النماذج الثلاثة كأساس لدراسة السفرات السلطانية في المغرب.

استعملت في نعت السفرات السلطانية كلمات ومصطلحات عديدة منها الغَزْوة (أكثر تداولا في الأندلس) والصائفة والشاتية والحَرَكَة (بالتحريك) والبعث في الأندلس، والحَرَكَة (أكثر تداولا) والغزو والسفر والعبور والزيارة عند الموحدين، والحَرَكة (أكثر تداولا) والغزاة والزيارة عند المرينيين. وبتتبع استعمال هذه الكلمات اتضح لنا جليا أن أهل الأندلس؛ وبحكم ارتباط التنقل أساسا بالجبهة المسيحية، فضلوا كلمة الغزوة وتداولتها المصادر كثيرا، أما الموحدون والمرينيون فقد فضلوا كلمة حَرَكَة. ولذلك حافظنا في دراسة كل نموذج على التسمية الأكثر تداولا، بينما اعتبرنا تسمية حَرَكَة؛ الأكثر شيوعا، التسمية المناسبة لنعت تحركات الحكام في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، وهي التسمية التي ستستمر في المغرب حتى عهد الحماية ولو أنها اتخذت شكلا شعبيا بتسكينها بدل التحريك (الحَرْكة).

توفر مصادر الفترة سواء الأندلسية أو المغربية معطيات مهمة وكثيرة عن الحركة غير أنها تتميز في أغلب الأحيان بالتفرق والتشتت وتأتي بشكل غير مباشر من خلال وصف حركات بعض الحكام مما يتطلب مجهودا خاصا لاستخراجها. وتتميز أيضا بالفقر وشبه الغياب في بدايات الدول الثلاث وأواخرها، بينما تزداد كثافة في فترة ازدهارها وفي عهود حكامها الكبار والأقوياء مما ينبئ بارتباط ذلك بتدرج نضج الحركة تبعا لعمر الدولة وارتباط اكتمال صورتها بقوة الدولة وبحثها عن الفخامة والإبهار ثم وفرة الكتابة التاريخية التي تزدهر أكثر عند استقرار الدولة. ويمكن أن نعتبر أن كتب التاريخ العام ذات الطابع الحدثي تعتبر المعين الأساسي للكتابة عن الحركة دون أن يمنع ذلك من ورود بعض المعطيات في مصادر أخرى. وقد ذكرنا في تقديم كل نموذج أهم المصادر المتوفرة والمعتمدة وما توفره من معطيات في الموضوع.

انطلق الكتاب في أصله من ثلاثة مقالات اهتمت بالحركة عند الأمويين والموحدين والمرينيين نشرت كلها على صفحات **مجلة كلية الآداب بالرباط** ما بين 2007 و 2015. وتدخل في إطار التاريخ الذهني في شقه السياسي، إذ حاوت أن تتعمق في كيفية تصور الحكم من قبل أهل المغرب والأندلس حكاما ومحكومين من خلال الحركة وكل ما يتعلق بها من تنظيم ومكونات ورموز ووظائف وأدوار. وقد كشفت الدراسة أن هذا النشاط ضرورة يحتمها واقع السلطة وشكلها والعلاقة مع المجال والمحكومين وعادات العصر وضغوطها، كما أبرزت أن أدوار الحركة أوسع مما نتصور أبسطها وأولها التأديب العسكري وأعقدها الدعاية السياسية/ الفكرية للحاكم ولنظامه السياسي، وأن الحركة هي لحظة للبناء على جميع الأصعدة أقربها وأوضحها الجانب العمراني وأعمقها وأغمضها الجانب الذهني والعقلي (ترسيخ السلطة بالرموز واستعراض القوة والأعمال) الذي هو قوة الحركة ومحركها أولا وآخرا.

وقد قسمنا هذا الكتاب إلى أربعة فصول تناولت الثلاثة الأولى التجارب التطبيقية للأمويين والموحدين والمرينيين، بينما كان الرابع تركيبيا حاول أن يرسم صورة عامة للحركة في المغرب والأندلس في العصر الوسيط.

في الأخيرن شكرنا الغالي للمشرفين على مجلة كلية الآداب بالرباط وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل الدكتور عمر أفا على تفضلهم بنشر هذه المقالات مما عرف الجمهور بها ومنح الكاتب صورة عن قيمة ما يكتبه، كما أشكر كل من ساعدني في هذا العمل بقراءة مقالة أو إبداء ملاحظة حولها مما ساهم في تهذيبها وتطويرها.

بني ملال: في 2016/05/06

الفصل الأول

الغزوة الأموية

تعتبر التجربة الحضارية الأندلسية مصدر إلهام لدول الغرب الإسلامي والمغرب الأقصى خاصة، وسنعمل على دراسة نموذج الحركة الأموية لتبين بعض خصوصياتها ومميزاتها، وبالتالي اكتشاف مدى إمكانية إلهامها لحكام المغرب من مرابطين وموحدين. الأكيد أن المادة التاريخية التي توفرها المصادر ضعيفة وقليلة، بل يمكن القول إن المصدر الوحيد الذي يمكن التعويل عليه هو ما تبقى من "*مقتبس ابن حيان*" والنقول التي احتفظ بها ابن عذاري في "*البيان المغرب*"، دون أن يمنع ذلك من ورود بعض الإشارات في مصادر أخرى سيكشف عنها في المكان المناسب. وسنحاول الوقوف عند المصطلح المفضل عند الأندلسيين لنعت الحركة، وجانبها التنظيمي، ومهام الأمراء والخلفاء مع ما سيستنتج من ذلك حول الوظائف الحقيقية للحركة والرموز التي تحملها.

1- المصطلح

استعملت المصادر الأندلسية لنعت الحملات العسكرية الأموية؛ سواء التي يقودها الأمراء والخلفاء أو التي ينوب عنهم فيها بعض القادة، مصطلحات متعددة ترد في غالب الأحيان مترادفة أو للدلالة على شيء واحد يقع في أوقات مختلفة من السنة.

إن أكثر الكلمات تداولا هي كلمة *غزوة ومشتقاتها* كفعل غزا أو المصدر غزو أو غزاة[1]، وترد للتعبير عن كل حملة عسكرية بغض النظر عن وجهتها (مسيحيون- متمردون مسلمون) أو وقتها (صيف- شتاء).

ونجد إلى جانبها كلمة *صائفة* وجمعها *صوائف*[2] وهي *مشتقة* من كلمة صيف وهو الفصل الذي تنظم فيه، وبالرغم من أن استعمالها لا يقتصر على نوع واحد من الخصوم فإنها أكثر تداولا عند الحديث عن مواجهة المسيحيين في الشمال.

---

[1]- ابن حيان، المقتبس، المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد، 1979، ج5، ص. 159 و 171 و 179 و 183 و 189 و 215 و 245 ...

[2]- نفسه، ص.281 وابن عذاري، البيان المغرب، دار الثقافة، بيروت، 1983 ج2، ص. 55.

وقريبا منها نجد كلمة *شاتية* وجمعها *شواتي*[3] وهي كالأولى مأخوذة من اسم الفصل الذي تنظم فيه (الشتاء)، لكنها نادرة ولم تشتهر أكثر إلا في عهد الحاجب المنصور العامري.

وترد كلمة حَرَكة بصيغتي المفرد والجمع[4] وتحمل معنى عاما كما يظهر هذا النص لابن حيان في حديثه عن الحكم المستنصر عام 364هـ/974م "فافتتح حَرَكاته إثر نقوهه بالبدء إلى بيت الله تعالى"[5]. وهذه الكلمة نادرة الورود في المصادر.

وفي الأخير نجد كلمة بعوث أو بعث بصيغة المفرد والتي تدل على إرسال الجنود للغزو[6].

كما يلاحظ فالكلمتان الأكثر تداولا للتعبير عن الأعمال العسكرية لأمويي الأندلس هما *الغزوة* التي تهم كل أوقات السنة وكل الخصوم و*الصائفة* التي تهم فصل الصيف والمسيحيين خاصة مع أنها قد ترد في الحديث عن المسلمين من المتمردين، لذلك سنستخدمهما في هذا التحليل وخاصة الأولى.

إذا كانت المواجهات العسكرية عنصرا أساسيا في حياة الدولة الأموية منذ قيامها وحتى سقوطها لكثرة الثوار وتوالي هجومات الجيران، فإن تنظيم الغزوة وفق نمط محدد ونظام دقيق تطلب وقتا طويلا وهمة من الأمراء لينضج ويكتمل. لذلك علينا؛ على الأقل، أن ننتظر حتى عهد الحكم الربضي (180-206هـ/796-821 م) لتظهر المعالم الأولى لهذا التنظيم.

ويجب أن نعترف أن المصادر لا تشير إلى ذلك مباشرة وإنما تأتي ببعض ما ينبئ بذلك ويحمل على استنتاجه مثل قولها: الحكم "أول من جعل الملك بأرض الأندلس أبهة"[7]. ثم يزداد الأمر تطورا وتعقيدا في عهد ولده وخليفته عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 821-252م) الذي تقول المصادر عنه: "أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، وكسى الخلافة أبهة الجلالة"[8] وكذلك "رتب رسوم المملكة،

3- المقري، نفح الطيب، دار صادر، بيروت، ج1، ص.402. قال: "غزا[المنصور]فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء وأخرى في الصيف"، وردت عند العذري في **ترصيع الأخبار** بكثرة ويمكن الإشارة إلى الصفحات 74 و 75 و 76 و 78 و 79.

4- ابن حيان المصدر السابق، ج5، ص.250 وج6، ص.211 وأخبار مجموعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص.118.

5- المقتبس، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج6، ص.211.

6- المقري، المصدر السابق، ج1، ص.363.

7- نفسه، ص.341.

8- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص.91.

واحتجب عن العامة"[9]، ودون أدنى شك؛ فسيكون للغزوة والموكب الأميري نصيب من هذه الأبهة. وبالرغم من التراجع الذي شهدته فيما تبقى من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي؛ وخاصة في عهد الأمير عبد الله الذي قيل عنه إنه "اقتصد في مراكبه واختصر حلى مراكبه"[10]، فسرعان ما ستبلغ الأوج في كل شيء مع عبد الرحمن الناصر وكل ما تبقى من القرن العاشر الميلادي. وهذه الصورة الأخيرة هي التي سنعمل؛ وفقا للمادة المتوفرة، على توضيح معالمها.

2- تنظيم الغزوة أو الصائفة

2-1-التوقيت والخروج

فرضت الصوائف نفسها على حياة الأندلسيين لحد أنها صارت جزءا من الجدول السنوي للحياة. ففي "جدول قرطبة" لعريب بن سعد يرد عند الحديث عن شهر فبرائر "فيه تنفذ الكتب بالحشود للصوائف"[11]، وهو ما يعني الإعلان عن نية الغزو في السنة وتحديد الوجهة حتى يستعد الناس ويكونوا على أهبة الاستعداد. وقد اعتاد الأمراء والخلفاء إرسال الوزراء للاستنفار للجهاد[12]، أو إرسال "الكتب إلى عمال الكور والنواحي في الاحتشاد لها والاستعداد"[13]. ويعتمد اختيار الشكل على مدى أهمية الغزوة وخطورتها. وقد تكتب رسائل خاصة؛ تتميز بقوة البلاغة وعمق المضمون، لتحريض الناس على الغزو، كما فعل الناصر قبل غزوة جليقية عام 308هـ/920م حيث أصدر "كتابه المشهور (...) منثورا أهتف به على أهل حضرته قرطبة في مسجدها الجامع في الحض على الجهاد والاستنفار إلى الأعداء، ووالوا بقراءته جمعا متوالية"[14].

---

[9]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص.347.

[10]- ابن حيان، المقتبس، ج3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، ص.58.

[11]-DOZY, R, Calendrier de cordoue , E.J. Brill, Leiden, 1961, p. 49.

[12]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، دار النشر للجامعيين، ص.95.

[13]- مجهول، مدونة تاريخية من عهد الناصر، مدريد-غرناطة، 1950، ص. 34 وابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.58.

[14]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 156.

بعد الإعلان يأتي وقت الخروج الذي يمتد على الفترة الممتدة من شهر فبرائر حتى شهر يونيو[15]، لكن الوقت الغالب هو شهرا مارس وأبريل، ويتم على مرحلتين.

مرحلة أولى يخرج فيها الأمير أو الخليفة سرادقه إلى ضواحي العاصمة قرطبة وينصبه هناك إعلانا عن بداية الغزوة أو الصائفة، ودعوة للمشاركين للتجمع بالعاصمة قصد الانطلاق. وقد اعتاد الأمويون نصب السرادق في الربض الجنوبي عند مصلى الربض جنوبي المدينة شمال النهر الكبير ولذلك سمي أيضا فحص السرادق نسبة إلى هذه الخيمة التي تنصب به عند الغزو[16]. لكن إشارتين أخريين تردان عند ابن حيان توضحان أنه كان ينصب أيضا في ربض شقندة جنوب شرقي المدينة[17]. مما قد يدل على أنه ينصب في أماكن مختلفة من ضواحي قرطبة حسب الأوقات ووجهة الغزوة واختيار الأمير أو الخليفة. ويقضي السرادق في هذا المكان؛ خاصة في عهد الناصر، مدة تتراوح ما بين ثلاثة وعشرين يوما (قبل غزوة عام 300هـ/ 912م)[18] وثلاث وأربعين يوما (قبل غزوة بنبلونة عام 312هـم923م)[19]. وخلال هذا الوقت تتوافد الحشود على العاصمة. وتسمى هذه المرحلة بالبروز.

وتبدأ المرحلة الثانية التي تعبر عن الخروج الفعلي وتسمى *الفصول* بعد توافد العدد الكافي من المشاركين، وتتم في شهري أبريل وماي ولماما في يونيو. ويوافق هذا الوقت فترة السفر في حوض البحر المتوسط، حيث تعتدل الحرارة ويتوفر الماء والأقوات والعلف ويهدأ البحر[20]. وبينما يتنقل الموكب الأميري تلتحق به باقي الوفود ولا يصل إلى حدود المنطقة المقصودة حتى يكون عسكره قد اكتمل، وصار مستعدا للقتال والمواجهة[21].

---

[15]- نفسه، ج5، ص. 189 و 199 و 209 و 245 و 423 ، وابن عذاري، الصدر السابق، ج2، ص. 180 و 183 و 202 و 206.

16- نفسه، ص. 449 ونفسه، ص. 204.

[17]- نفسه، ص.117 و 287.

[18]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 160.

[19]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.18..

[20] -BONO, S., Les corsaires , p. 100.

[21]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 147 وابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 185.

2-2- هيئة الموكب الأميري وتنظيمه

كما ذكر أعلاه فالموكب الأميري؛ ربما، يكون قد بدأ تنظيمه في عهد الحكم الربضي وبلغ الأوج مع الناصر. وإذا كنا لا نجد وصفا متكاملا للموكب فإن الإشارات التي أوردها ابن حيان عنه؛ ربما، تساعد على الاقتراب من الصورة الكاملة، وخاصة الوصف الذي قدمه بصدد حديثه عن غزوة وخشمة عام 322هـ/933م، حيث كتب "برز الناصر لدين الله لهذه الغزاة بروزا فخما، تشوهر بالأندلس، واستشنع بقرطبة لكثرة ما ظهر فيه من العدد والعدة والحلي والزينة" ويضيف "برز فيه دارعا مستلئما، متقلدا سيفه، راكبا لأشقر معروف بالعتق من جياد المقرنات، قد حفته قواده وكتائبه، معبأة أحسن تعبئة، مظاهرة الحديد والقوة. وقد احتفل فيما أبرزه لتفخيم بروزه وعده من صنوف العدة، وتماثيل الأعلام والرايات الفخمة البديعة الغريبة الأجناس المرتفعة القيمة، وفي هذا البروز ظهر في أعلامه علم العقاب المصورة التي اخترعها ولم تكن لسلطان قبله، وكان للناس إليها التفات واستشراف، ولها بقلوبهم لوطة أجرت بينهم حديثا متعاورا"[22].

ويتضمن النص مجموعة من العناصر المهمة.

- فخامة الموكب الذي فاق كل ما شوهد قبله ومر. وقد أثار فضول الناس وإعجابهم ومدحته الشعراء وخاصة ابن عبد ربه[23]. كما فجر انتقادات فقهاء قرطبة.
- وصف هيئة الخليفة الذي لبس درعه وتقلد سيفه وركب فرسا شقراء أصيلة.
- إحاطة الحرس المسلح أحسن تسليح بالخليفة وهم في الأغلب من الصقالبة الذين يحتلون المرتبة الأولى في مجلسه حسب الوصف الذي قدمه

---

[22]- نفسه، ج5، ص.333-334.
[23]- نفسه.

المقري[24]، وهم مستعدون لحمايته من كل هجوم كما فعلوا في إحدى المرات عندما دنا منه معتوه فاختطفوه بسيوفهم في لمح البصر[25].

- فخامة الأسلحة التي حملها معه.
- كثرة الأعلام الفخمة والمصورة وتميز علم العقاب من بينها. وتحظى الأعلام في موكب الأمويين منذ التأسيس بمكانة كبيرة[26]، وقد قربوا عشيرة كلاع من جند الأردن برية؛ وهم من نسل الأنصار الذين كانوا يحملون لواء الرسول، فكانوا "يحملون الألوية بين يدي الخلفاء من بني أمية"[27]. ولا يقتصر وجود الأعلام على تلك الموجودة عند الخلفاء بل كان لكل فرقة من الجند علمها تحمله في القتال وتركزه في مكان نزولها[28]. وعلينا أن نتصور انطلاقا من هذا الوصف الموكب مغطى بالأعلام من كل حجم ولون وشكل.

وإلى جانب ما أورده هذا النص يتضمن الموكب عناصر أخرى منها:

- أدوات وآليات سلطانية[29] لا نعرف الكثير عنها. ومنها السرادق (المضرب) وهو خيمة كبيرة لنزول الخليفة؛ ويتكون من غرف عديدة ورواق وباب[30]، والمصحف المجزأ إلى اثني عشر جزءا ويظهر من هذه العبارة لابن حيان "وندمه [الناصر] على تغريره به في إدخاله إلى دار الحرب خلافا لسننه"[31] أنه أدخل في تنظيم الموكب في غزوة الخندق عام 327هـ/937م، مما يعني حضوره في الموكب أو على الأقل عند التوجه إلى الأراضي المسيحية. ويظهر أن هذا المصحف كان فخما ومزخرفا، بالرغم من أن النصوص لا تفصح عن ذلك. وما جعلنا نرجح ذلك العناية الكبيرة التي حظي بها المصحف المنسوب للخليفة عثمان بن عفان في

---

[24]- النفح، ج2، ص.48.
[25]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 27.
[26]- مجهول، أخبار مجموعة، ص. 79.
[27]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص. 467-468.
[28]- نفسه، ج2، ص.595.
[29]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.436.
[30]- نفسه، ج5، ص. 398.
[31]- نفسه، ج5ن ص.330.

مسجد قرطبة[32]. وقد اتبع الحاجب المنصور العامري هذا التقليد حيث "خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره يدرس فيه، ويتبرك به"[33]. ومظل الخليفة الذي ينصب في مكان نزوله داخل المحلة ويتحدد به موقعه داخل المعسكر[34].

- المرافقون للأمير أو الخليفة. ومرة أخرى لا نستطيع تحديدهم بدقة، لكننا سنقترب منهم من الوصف الذي قدمه ابن حيان في غزوة سرقسطة عام 325-326هـ/ 936م[35]. ويتكونون من الأبناء الذين حضر منهم الحكم والمنذر وعبد الله وعبد العزيز وقد يصل عددهم في بعض الركبات إلى سبعة[36]، وبعدهم أعمامه وأعمام أبيه وهم كبار البيت الأموي ويحتلون في ترتيب رجال الدولة المرتبة الثانية[37]، ودونهم الوزراء الذين حضر منهم ستة من أصل إحدى عشر ويحتلون المرتبة الثالثة ضمن هيكل الدولة[38]، وبعدهم أصحاب الخطط الذين حضر منهم ثمانية ويقعون في المكانة الرابعة ضمن جهاز الدولة[39]، وبعدهم الموالي الأمويون عصبية الدولة ومعتمدها، ووراءهم رجال قريش، وبعدهم القضاة؛ وعلى رأسهم قاضي الجماعة الذي يعتبر حضوره ضروريا حتى إنه في البداية كان يسمى قاضي الجند[40]، ويلحق بهم الفقهاء الذين وصل عددهم إلى سبع وعشرين دون أهل سرقسطة، ويحتل هؤلاء المرتبة الخامسة داخل جهاز الدولة[41]. وكما يلاحظ فمعظم رجال الدولة يرافقون الأمير أو الخليفة. أما في قرطبة فقد اعتاد الحكام وخاصة الناصر استخلاف أحد أبنائهم في القصر؛ لترسل

32- يقول المقري: "كان بالجامع المذكور [جامع قرطبة] في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه بيمينه، وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت، وعليه أغشية الديباج، وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب" النفح، ج1، ص. 548. وهو المصحف الذي انتقل إلى الموحدين وصار جزءا من موكبهم.

33- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 288 والمقري، المصدر السابق، ج1، ص. 409.

34- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 193.

35- نفسه، ج5، ص. 408.

36- نفسه، ص. 17.

37- المقري، المصدر السابق، ج1، ص. 387.

38- نفسه.

39- نفسه.

40- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 48.

41- المقري، المصدر السابق، ج1، ص. 389.

المراسلات باسمه، وبعض الوزراء المعروفين بالثقة وشدة الولاء مثل أحمد بن موسى بن حدير ثم صاحب المدينة[42].

- الجنود من الكور وأهل الثغر والقبائل حسب موقعها من الدولة.
- المتطوعة من الأفراد.
- المحلة: أهل السوق والأحمال والعمال والفعلة والنساء[43]. وتوحي إشارة وردت بصدد غزوة للأمير المنذر عام 273هـ/887م بوجود السجن داخل الموكب[44]، بحيث يحمل الخليفة أو الأمير بعض السجناء الخطيرين في حركته.

- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 65 و 189 و 209 و 245 و334 و 593 ، وابن عذاري، المصدر السابق، [42]ج2، ص. 86 و 206.

- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص.295 وابن رشد، البيان والتحصيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، [43]ج2، ص.571.

[44]- ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1، ص.142.

الخـلـيـفـة

↓↑

الحـرس الصقـلـبـي

↓↑

حـمـلـة الأعـلام (كـلاع)

↓↑

الأبـنـــــاء

↓↑

الأعمـــــام

↓↑

الـــــــوزراء

↓↑

أصحـــاب الخـــطـط

↓↑

المـــــــوالـــــي

↓↑

قـــــريـــــش

↓↑

القضـاة والـحـكـام

↓↑

الـــفـــقـــهـــاء

↓↑

الـجـنـود الـنـظـاميـون (الكور المجندة + القبائل + أهل الثغور)

↓↑

الـــــــتمـــــتـــــــطـــــوعـــــة

↓↑

الـــــــمـــــــــحـــــلـــــــــــــــة

خطاطة موكب الغزوة

هكذا يمكن أن نلاحظ أن الموكب يشبه مدينة متكاملة ومتنقلة، وهو أيضا حكومة قرطبة الأموية في الأندلس تتنقل بكل مكوناتها، وتتحول كل محلة تنزل بها إلى عاصمة فعلية للدولة، أما قرطبة فلم يعد لها من ذلك إلا الاسم، ولا يربطها بخليفتها إلا الرسائل.

2-3- سير الموكب

عندما تكتمل الاستعدادات وتلتحق الوفود التي تقرر وصولها إلى العاصمة خلال فترة البروز، يخرج الخليفة "غازيا من قصر الخلافة بقرطبة"[45]. فينتقل من محلة إلى محلة "والحشود والعساكر تتلاحق به من أقطار الأندلس وجميع جهاتها"[46] قاصدا بذلك أن يلتحق به المشاركون قبل بلوغ وجهته، وكذلك "لئلا يعنف على المسلمين بحث السير مع اتصال سفرهم"[47]. ويظهر من هذه الإشارات أن الموكب يسير ببطء؛ وربما، كانت مسافة اليوم أو المرحلة (مابين 30 و40 كلم) هي أقصى ما يقطعه في اليوم إلا في حالات استثنائية.[48]

ويصعب تحديد المحاور التي يمر عبرها الموكب لان الطريق المسلوك يحدد بناء على الأحداث التي دعت للغزوة، وكذلك الجهة المقصودة، وحتى جهة الشمال التي تؤدي إلى الأراضي المسيحية فالدخول إليها لا يتم من محور واحد، إذ هناك؛ على الأقل، ثلاثة محاور مع ما يتغير في كل مرة من تفاصيل. فهناك طريق شرق الأندلس عبر بلنسية وطريق الوسط عبر طليطلة وطريق الغرب عبر ماردة. ويمكن إذا أخذنا بعين الاعتبار تفاصيل الطريق أن نقول إن لكل غزوة ممرها الخاص بها.

في نهاية كل مرحلة ينزل الأمير أو الخليفة بمحلته إما داخل المدن إن وجدت في طريقه وأراد الاستقرار بها لبعض الوقت، وتكون آنذاك ملزمة بتوفير الدور لنزول المشاركين مما يسبب متاعب للسكان ويثقل كاهلهم، ويظهر ذلك في شروط أهل طليطلة على الناصر عام

45- ابن حيان، المصدر الساق، ج5، ص.161.

46- نفسه وابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص.176.

47- نفسه، ج2، 178.

48- يشير إلى ذلك بوضوح ابن الشباط عندما يحدد المسافة بين قرطبة وطليطلة حين يقول: "للفارس القاصد سبعة أيام، ولمحلات العساكر أربعة عشر مرحلة" وصف الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، العدد 14، 1967، ص.12.

320هـ/931م حين طالبوا بالإعفاء من "معرة الإنزال في الدور"[49]. وقد يتجنب الأمير دخول المدينة ويقيم محلته خارج أسوارها كما فعل الناصر في طليطلة عام 318هـ/929م، وسرقسطة عام 323هـ/934م، وقلعة أيوب عام 325هـ/936م[50]. وفي الأماكن التي لا يجد فيها مدنا في طريقه أو قريبة منه ينزل في محلته ويعهد "بالنزول والاضطراب وإقامة الأبنية"[51]، وينزل الناس حسب مراتبهم في السير والجلوس[52].

خلال التوقف في المحلة يمارس الأمير أو الخليفة أنشطته العادية تماما كما يفعل أثناء الإقامة في عاصمة ملكه، حيث يعقد مجالس المنادمة ويستقبل الشعراء لسماع مديحهم[53]، ويتلقى الرسائل من مختلف الكور والجهات والعدوة المغربية[54]، ويبعث أخرى خاصة إلى خليفته في قرطبة، ويستقبل الرسل[55]، ويتتبع شؤون البلد ويتدارسها مع وزرائه ورجاله ويتخذ القرارات المناسبة كما سنبين فيما بعد.

ويبدو – كما يحيل على ذلك نص لابن حيان - أن الموكب أثناء سيره لا يعرف فقط الهرج والمرج وصهيل الخيل، بل تسمع فيه "تلاوة أهل البصائر للقرآن وتعالي أدعيتهم إلى الرحمن"[56]. وإذا كان هذا يحدث عام 278 هـ/ 892م في غزوة بلاي في عهد الأمير عبد الله؛ حين وصلت الدولة إلى أدنى درجات ضعفها وحين كان الموكب بسيطا، فلا يعقل ألا يكون حاضرا في عهد الخلافة، بداية بالناصر حيث بلغت الدولة الأوج في كل شيء وصار الموكب أكثر فخامة ووضع المصحف في المقدمة وعمرها الفقهاء الأجلاء. ونرجح أن يكون هذا النشاط حاضرا أثناء المسير وعند النزول وخلال القتال.

وقد يستشف من بعض التلميحات أن الموكب لم يكن يعرف انضباطا كبيرا أثناء سيره، مما دفع بعض الأمراء إلى طلب عدم مروره بإقطاعاتهم كما فعل موسى بن موسى القسي صاحب طليطلة عام 247هـ/861م، فأسعف في ذلك "ودخلت العساكر على غير بلده"[57].

---

[49]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 322.
[50]- نفسه، ج5، ص. 359 و398 وابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص.203.
[51]- نفسه، ج2، ص. 179.
[52]- ابن حيان، المصدر السابق، ج3، ص. 118.
[53]- ابن الأبار، الحلة، ج1، ص.199-200 وابن الفرضي، ج1، ص. 135.
[54]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 161 و 402 و 413.
[55]- نفسه، ج5، ص. 398 و 403.
[56]- نفسه، ج3، ص,127.
[57]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 97.

هكذا يتحرك هذا البحر المتلاطم الأمواج ببطء لكن بإصرار ومثابرة قاصدا وجهته.

2-4- تموين الغزوة

يظهر من النصوص المتوفرة أن المشاركين في الغزوة ملزمون بتوفير نفقاتهم، ولا تتكفل الدولة إلا برجالها. ويتسبب هذا الأمر للناس في حرج كبير حتى إنهم كانوا يطلبون توسط الوزراء والأمراء لإعفائهم من الغزو[58]. واضطر الأمراء والخلفاء إلى التوقف عن الغزو وإعفاء الناس منه في المواسم الجافة[59]. وتتخذ الكلفة أيضا شكل ضريبة (ضريبة الحشود)[60] وتوفير السكن للجند (الانزال) في المدن كما سبقت الإشارة أعلاه.

يحمل المشاركون جزءا من مؤونتهم معهم من بلدانهم، وقبل دخول الأراضي المسيحية يتزودون من الثغور كما حصل عام 323هـ حين "امتار العسكر من أعمال بني رزين وبني غزون وسائر جهات أهل الطاعة"[61]. ويوفر سوق المحلة مختلف حاجيات العسكر وبأثمان زهيدة عند وفرة الغنائم[62].

عندما يدخل الموكب أرض العدو؛ بالأندلس أو دار الحرب على حد سواء، يلجأ المشاركون إلى النهب كما تدل على ذلك كثير من النصوص. فهذا ابن عذاري يقول: "وانبسطت العلافة في القرى فانتسفت ما فيها" ويزيد "والجيوش لا تمر بموضع إلا اصطلمته، وتعلفت زروعه"، ويضيف "يحترس فيه بالمنتشرين من أهل العسكر في العلافات وطلب المرافق"[63]، وقال ابن حيان عن الناصر في غزوة بنبلونة "أخرج قواده (...) للتدمير وجلب العلافة"[64].

وكان للغنائم عند توفرها دور أساسي في التموين، إذ يتوسع بها الناس، وعليها يتوقف أحيانا تواصل الغزو، حتى إن الطرفين المتصارعان يحاولان قطع الطريق على بعضهما

---

[58]- ابن حيان، المصدر السابق، ج2، ص. 181-183.
[59]- نفسه، ج5، ص.449.
[60]- العذري، المصدر السابق، ص. 125 و 126.
[61]- نفسه، ج5، ص. 359.
[62]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 203.
[63]- نفسه، ج2، ص.188 و 189 و 194.
[64]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.398.

البعض بحصاد الزرع المبكر، كما حصل في غزوة وخشمة للناصر عام 322هـ عندما حصد النصارى زروعهم قبل وصوله، فاضطر إلى الانسحاب وعدل عن التوغل في بلادهم[65].

نستخلص مما سبق أن تموين الغزوة يعتمد على إمكانيات المشاركين والغنائم والأسلاب، وهذه مصادر هشة تتميز بعدم الاستقرار والثبات وفيها نوع من المجازفة، مما يجعلها خطرا على مستقبل الغزوة ومصيرها، وقد كانت في أحيان كثيرة وراء التوقف عن الغزو أو التراجع عنه أو الانسحاب بعد الشروع فيه.

2-5- العودة والاستقبال

بعد انتهاء الغزوة بتحقيق أهدافها كليا أو جزئيا أو ظهور عراقيل تمنع استمرارها يبادر الأمير أو الخليفة إلى إرسال رسائل تخبر بالنصر (كتب الفتح) أو تشرح أسباب الفشل. وعادة ما توجه الرسائل إلى قرطبة لتقرأ بجامعها[66]، لكنها قد تعمم على كل الكور بتوجيهها إلى العمال مقرونة بعبارة "فامر بقراءة كتابنا في المسجد الجامع في موضعك على أوليائنا ورعيتنا قبلك"[67]، كما حصل عندما فتح الناصر معاقل بني حفصون ببشتر عام 316هـ/927م.

ونظرا لأهمية هذه الكتب وكثرتها، فقد خلقت وظيفة قارئ رسائل الفتح بقرطبة؛ على الأقل، في القرن 4هـ/ 10م. واحتفظ لنا ابن بشكوال باسم أحد أشهر من تولوها خلال هذا القرن ويدعى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني الطليطلي (310-394هـ)، وقد تخيره السلطان لصعود المنبر "لقراءة الكتب الواردة عليه بالفتوح بالمسجد الجامع بقرطبة على الناس لفصاحته، وجودة بيانه، وجهارة صوته، وحسن إيراده" ولم يكن يتلقى أجرا[68]. وقد ينبئ الخبر الأخير عن كون غيره يحصل عليه.

---

[65]- نفسه، ص. 341-342.
[66]- نفسه، ج5، ص.242.
[67]- نفسه، ج5، ص. 222-223.
[68]- الصلة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955،ج1، ص. 241.

بعد ذلك يلتحق الأمراء والخلفاء بقرطبة ويحرصون على أن يكون دخولهم فخما ومشهودا يشهده الناس للفرجة كما مر أعلاه، ويثير مشاعر الإعجاب والرهبة عندهم مما يرفع من هيبة الدولة وقوتها. وقد ترك ابن عذري وصفا مقتضبا لدخول المنصور العامري من غزوة فقال: "دخل قرطبة دخولا لم يعهد، وشهد له فيه يوم لم يعهد"[69].

وبعد أيام من الاستراحة؛ خاصة إذا تحقق النصر، يقوم الأمير أو الخليفة بإقامة حفل لرجال دولته كما حصل عام 320هـ/931م إذ "صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشمه ممن شاهد فتح طليطلة معه، ووافق تطهيره لبعض بنيه الأصاغر"[70].

هكذا تنتهي الغزوة ويتفرق الناس بعد أن يضربوا موعدا لغزوة السنة الموالية.

3- وظيفة الغزوة

إذ كانت معظم الصوائف أو الغزوات الأندلسية تأتي ردا على تمرد أو ثورة أو هجوم أو عدم التزام بهدنة موقعة من الجار المسيحي مما يعطيها طابعا سياسيا وعسكريا، فإنها تقوم أيضا بوظائف أخرى موازية، وتحقق أهدافا ظاهرة وخفية يعيها الحكام ويحرصون على إنجازها عند كل تحرك لهم. ويمكن تحديد هذه المهام في تسيير ومتابعة شؤون البلد، واتخاذ القرارات المناسبة في عين المكان، وتحصين الثغور، وترهيب الثوار والمتمردين، وفرض هيبة الدولة على الرعايا بفضل الرموز التي يحملها الموكب.

3-1- *تسيير شؤون الدولة*

إذا كان الأمير أو الخليفة يغادر عاصمته قرطبة لمدة تصل إلى بضعة أشهر، فإن اتصاله بها وبمختلف الكور والأقاليم يستمر بواسطة جهاز بريد نشيط. ففي العاصمة يترك أحد أبنائه؛ ولو كان طفلا، بهدف أن "تنفذ الكتب باسمه"، وهي العبارة التي تتكرر عند الحديث

---

[69]- البيان، ج2، ص.299.
[70]- نفسه، ج2، ص208.

عن الاستخلاف في كل الغزوات[71]. والتأكيد على هذا الأمر يثبت أهمية التواصل بين الأمير في موكبه وعاصمته السياسية، بحيث يتوصل بكل ما يحدث فيها أو تتوصل به من أخبار من مناطق أخرى، ويخبر بتطور الغزوة. ولا تشكل كتب الفتح إلا جزءا قليلا منها. ولذلك نجد الأمراء والخلفاء يتخذون قرارات قد تبلغ درجة الخطورة تخص العاصمة من أماكن نزولهم. فأثناء غزوته عام 301هـ/913م إلى كور رية والجزيرة وقرمونة "بعث [الناصر] في قاسم بن وليد الكلبي صاحب الشرطة، وكان قد خلف بقرطبة، فسجن وسجن معه محمد بن إبراهيم بن حجاج ومحمد بن وهيب وعبيد الله بن محمد الرقباني وسكن بن جديدة، وعزل ابن مسلمة عن الشرطة العليا، ووليها عباس بن أحمد بن أبي عبدة"[72]. ويتضح من النص أن الإجراءات همت جهاز الأمن في العاصمة؛ خاصة الشرطة، الذي يبدو أنه تواطأ مع أحد الثوار وهو ابن حجاج الإشبيلي.

وفي غزوة مونش إلى طليطلة عام 308هـ وعند نزوله بمدينة الفرج "استوزر (رضه) في هذه المحلة سعيد بن المنذر"[73]. فهذا تعديل وزاري يتم في محلة.

ومن خلال المثالين يمكن أن نستنتج أن الخلفاء والأمراء كانوا يقومون بمهامهم السياسية والإدارية اليومية وكأنهم لم يغادروا العاصمة.

2-3- إخضاع الثوار

عادة ما يحمل الأمراء والخلفاء مشاريع ثانوية تحقق أثناء الانتقال إلى الوجهة الرئيسية للغزوة. ومن هذه المشاريع إخضاع ثوار صغار أو حكام أقاليم ضعيفي الطاعة. ويمكن اعتماد ما حصل في غزوة بنبلونة عام 312هـ نموذجا. ففي طريقه، مر الناصر بكورتي تدمير وبلنسية واستنزل الثوار عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن خالد التوبري وعامر بن أبي جوشن وغيرهم، كما ترك حامية لحصار محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ الذي رفض

71- نفسه، ج2، ص. 86 و 180 و 182 و 199-200 و 206، و ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 85 و 147 و 161 و 179 و 210 و 317 و 334 .

72- نفسه، ص. 165.

73- نفسه، ص. 176.

الغزو بمدينة العسكر. وعند العودة مر بطليطلة على يحي بن موسى بن ذي النون الذي امتنع بدوره عن المشاركة في الغزو، فأخضعه ثم عفا عنه[74].

3-3- التدبير الإداري

يستغل الأمراء حضورهم في بعض المدن والكور لتقويم الأوضاع الإدارية بناء على تقارير مبعوثيهم السابقة حول سير العمال، أو شكاوى السكان التي يتلقونها في عين المكان. ويحتفظ كل من ابن حيان وابن عذاري ببعض النماذج.

فأثناء غزوة مونش الموجهة إلى طليطلة حل الناصر بمدينة الفرج (وادي الحجارة) "فنظر لأهلها وعزل بني سالم عنهم، إذ شكوا بهم"، كما استوزر سعيد بن المنذر -السالف الذكر في محلته- وعينه قائدا عليها، كما ولى على قضائها الفقيه محمد بن مسور، فأرضى السكان ونال شكرهم[75].

وفي الطريق إلى غزوة إلبيرة عام 313هـ مر الناصر بكورة جيان وعزل عبد الله بن سعيد بن هذيل عن جميع حصونها وولى غيره، وهدم أكثر حصون إلبيرة وزار جهاتها لتأمين الرعية[76].

وفي غزوة عام 316هـ فتح الناصر ببشتر وولى عليها سعيد بن المنذر ونسفت حصونها واستنزل حكامها، وعرفت حصون تاكرنا ومغيلة وشذونة نفس المصير إلا قليلا، وولى عليها غير حكامها، ونقل بعض سكانها إلى قرطبة[77].

وفي غزوة عام 317هـ، مر الناصر على جهة ماردة فأصلح الأحوال، وولى عليها محمد بن إسحاق، وترك معه حامية من الحشم[78].

وتكاد هذه الأعمال تحضر وتتكرر في كل الغزوات مما يظهر مدى اتساع برنامجها.

---

[74]- نفسه، ص.186 و189.
[75]- نفسه، ص. 176 وابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.159.
[76]- نفسه، ص. 190.
[77]- نفسه، ص.196-7.
[78]- نفسه، ص. 200.

3-4- تحصين الثغور

تحظى الثغور بعناية كبيرة من قبل الأمراء والخلفاء الأمويين، فهي النقط الأضعف في البلد لمتاخمتها لأراضي العدو المسيحي الذي لا يتوقف عن الهجوم للتخريب والنسف والغصب والنهب والأسر واحتلال الحصون. لذلك توجه معظم الغزوات إلى الشمال خاصة الثغرين الأوسط (طليطلة) والأعلى (سرقسطة). وأثناء المرور بها يقوم الخلفاء والأمراء بمجموعة من الأعمال قصد تقويتها وتحصينها.

ففي غزوة مونش "انتقل [الناصر] إلى حصون المسلمين بالجهة يستقريها بمشاهدته، ويشكها بقوته، وينظر في مصالح أهلها بتدبيره، كلما ألفى قربها للمشركين معقلا هدمه وأحرق بسيطه"[79].

وفي غزوة بنبلونة مر الناصر على حصن بلبيرة "فعهد بادخار الأطعمة عندهم، وتفريق الأموال فيهم"[80].

وفي غزوة سرقسطة حل الناصر بالثغر "متجولا على دروب المسلمين ما بين حصن أنتيشة إلى مدينة طلبيرة، بعد أن نظم ما بينها بالرجال، وأحكم ما وهى من حصونها وأبراجها، وضعف من معاقلها ومراقبها بمحكم البنيان ووافر الأزواد وأوسع العدد والأسلحة"[81].

واضح أن الاهتمام بالثغور يتضمن كل ما يقويها من تحصين بالأسوار ورجال وعدة ومؤن وإبعاد لمراكز العدو القريبة.

من خلال وظائف الغزوة التي استعرضناها يتضح أن لها أدوارا سياسية وعسكرية وإدارية، وهي الهموم الرئيسية للحكام في عصر الدراسة. لكنها تخفي وظيفة أخرى أكثر خطورة وهي تحديد السياسة المجالية للحكام الأمويين، فبواسطتها يحاولون ضبط مجال الدولة ويحددون حدودها بالتنقل عبر كل ربوعها، وكأنهم يضعون علامات حدودية في كل نقطة

---

[79]- نفسه، ص. 179. وابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص. 167.
[80]- نفسه، ص.189.
[81]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، ص.395.

وصلوا إليها (مثل ترك الرائحة أو البراز أو البول بالنسبة للحيوانات في الطبيعة). فلنأخذ فقط غزوات الناصر الواردة في الجدول أسفله كمثال.

الرقم	السنة	الغزوة	الجهة المقصودة	المصدر
1	912/300م	المنتلون	كورة جيان	ابن حيان 58/5 و65 وابن عذاري 160/2
2	913/301م		كور رية والجزيرة وقرمونة	نفسه/85 نفسه/164-165
3	917/306م	بلدة	كورة رية	نفسه/147-148 ----
4	919/308م	مونش	جليقية	--- نفسه/175-176
5	920/309م	طرش	كورة رية	نفسه/171 نفسه/180-181
6	921/310م	مونت روبي	إلبيرة	نفسه/179 نفسه/182-183
7	923/312م	بنبلونة	بنبلونة	نفسه/189 نفسه/185
8	924/313م	أشتبين	إلبيرة	نفسه/199 ---
9	926/315م	ببشتر	كورة رية	نفسه/209-210 ----
10	927/316م	ببشتر	كورة رية	نفسه/215 نفسه/196
11	928/317م	بطليوس	الثغر الأدنى(الغرب)	نفسه/189 ----
12	929/318م	طليطلة	الثغر الأوسط	نفسه/280-281 نفسه/202
13	931/320م	طليطلة	الثغر الأوسط	نفسه/317 نفسه/206
14	932/322م	وخشمة	الثغر الأعلى (سرقسطة والنواحي)	نفسه/333-334 ---
15	933/323م	سرقسطة	الثغر الأعلى (سرقسطة والنواحي)	نفسه/357 ---
16	935/325م	سرقسطة	بنبلونة	نفسه/408 ---
17	937/327م	الخندق	جليقية	نفسه/423 ---

غزوات عبد الرحمن الناصر

إن أهم ما يلاحظ على غزوات الناصر خلال السنوات السبع والعشرين الأولى من حكمه هو محاولتها تغطية كل الأراضي الأموية في شبه الجزيرة الإيبيرية، لكن بشكل تدريجي وحسب قرب الخطر من مركز الدولة (العاصمة قرطبة) مع زيارة بين الفينة والأخرى للحدود الخارجية. ففي البداية وجدناه يركز على شرق الأندلس (جيان - إلبيرة) وجنوبها الشرقي (رية) وجنوبها (قرمونة – الجزيرة – إشبيلية)، وامتد اهتمامه بها على مدى ستة عشر سنة قضى فيها على أهم وأخطر الثوار ابن حفصون وكل حلفائه في هذه المناطق. وفي مرحلة ثانية توجه نحو الغرب (بطليوس) الذي قضى فيه على ابن مروان الجليقي. ثم في مرحلة أخيرة توجه نحو الشمال والشمال الشرقي حيث الثغران الأوسط (طليطلة) والأعلى (سرقسطة) وقمع ثوارها الكبار خاصة بني ذي النون وآل تجيب. وفي غمرة انشغاله بضبط المجال الداخلي لم ينس الحفاظ على الحدود الخارجية، بحيث وجدناه يخصص الحملة الرابعة والسابعة والرابعة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة للعدو المسيحي الذي كان عليه أن يوقف جرأته على حدوده الشمالية ودعمه للثوار داخليا. فكأن الناصر بهذه الحركات يقوم بمسح للمجال من الشرق إلى الغرب في اتجاه دوران عقارب الساعة إلى أن يصل إلى حدود الشمال. وبالرغم من انهزامه في الغزوة الأخيرة فإن ذلك لم يؤثر على تحكمه في المجال الأندلسي فيما تبقى من حكمه. فأنت ترى أن الغزوات والصوائف هي بمثابة تطهير ومسح شامل للمجال، ومرور لترك الآثار والعلامات، وإقصاء لكل منافس ثائر أو حاكم قليل الولاء أو عدو محتل، وإقناع للرعايا بمقدرة الحاكم العسكرية والسياسية بالاستجابة لشكاويهم وإصلاح الوضع ولو على حساب بعض رجاله المقربين وبكل الرموز الدينية والعسكرية التي يحملها الموكب الأميري.

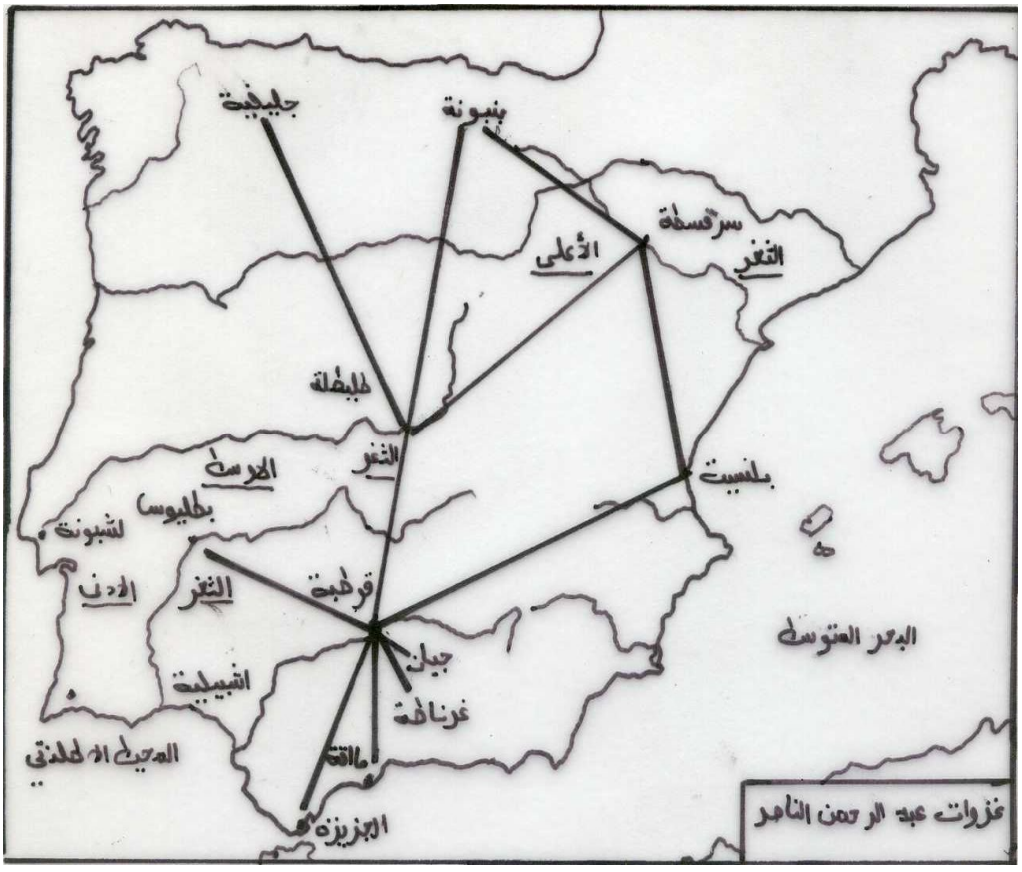
جليقية
بنبونة
سرقسطة
الثغر الأعلى
طليطلة
الثغر
المرسى
بلنسية
طليوس
لشبونة
الثغر
قرطبة
البحر المتوسط
جيان
غرناطة
اشبيلية
المحيط الاطلنتي
مالقة
الجزيرة
غزوات عبد الرحمن الناصر

خاتمة

ظهر جليا من التحليل أن الغزوة الأندلسية شكلت نسقا متكاملا تطورت وتكاملت عناصره على مدى قرنين من الزمان؛ على الأقل، وجمعت بين الفخامة والبهرجة وقوة التنظيم والضبط في الوقت والمكان. وقد استغلها الحكام الأمويون للدعاية لدولتهم والإقناع بها بما حشروه فيها من رموز وأدوات وآليات ورجال، ولقمع أعدائهم الداخليين والخارجيين والتحكم في مجال دولتهم. وكل هذا يظهر أدوارها المتعددة ويؤكد ضرورتها لممارسة السلطة في هذه البلاد وفي هذا الزمان. ويعكس تنظيمها قوة الدولة التنظيمية وقدرتها على التحكم في نظامها وهيكلتها؛ حتى وهي في حالة حركة وتنقل، كما ينقل صورة مصغرة عن المجتمع الأندلسي بكل مكوناته حاكمين ومحكومين وفق النظام المعتاد في أيام الاستقرار في العاصمة. وستكون هذه الهيكلة مصدر إلهام للدول التي ستأتي فيما بعد.

%

الفصل الثاني

الحركة الموحدية

ظلت تنقلات الحكام عنصرا مميزا للدول التي حكمت المغرب طيلة عصوره المختلفة، إذ لا تكاد تتوقف. وإذا كانت المصادر تعطي الانطباع بكونها تتخذ طابعا عسكريا وتتوجه نحو قمع الثورات والتمردات، فإنها في الحقيقة تقوم بوظائف وأدوار أعمق وأقوى وأوسع. وسيعمل هذا الفصل على تسليط الضوء على الدور المتنوع للحملة وكشف المغزى الحقيقي لها من خلال النموذج الموحدي. فما هو المصطلح المستعمل لنعتها؟ وكيف تنظم؟ وما هي الرموز والدلالات التي تحملها؟ وما هي الوظائف التي تقوم بها؟

1- المفهوم وعينة الدراسة

تتداول المصادر التي تناولت تاريخ الموحدين خمس كلمات للإشارة إلى موضوع تنقل الخلفاء وهي الحركة والغزو والجواز أو العبور والسفر ثم الزيارة. وتعتبر الحَرَكة (من فعل حرك) المصطلح الأكثر تداولا عند المؤلفين الرئيسيين للفترة كابن عذاري وابن القطان وابن أبي زرع[82]، وتستعمل أيضا كمصدر أو فعل رباعي (تحرك) بصيغتي المفرد والجمع. ويظهر من تتبع استعمالها أنها تستخدم بمعنى عام للإشارة إلى تنقل الخلفاء كما يظهر من هذا الكلام لابن عبد الملك:" إن أمراء بني عبد المؤمن كانوا إذا تحركوا لغزو أو سفر..."[83]، فهي تشمل الأعمال العسكرية (غزو) والمدنية (سفر). وبعدها نجد كلمة غزو التي تتكرر بدورها كثيرا[84]، ويلاحظ أنها استخدمت أساسا للحديث عن الأعمال العسكرية الموجهة لضم بجاية عام 547هـ/1152م أو لإخضاع عرب إفريقية عام 576هـ/1180م وخاصة عند الحديث عن الأندلس، وما يجمع هذه الأطراف هو كونها خارج الحزب الموحدي ومنظومته السياسية (بنو حماد - عرب متمردون - مسيحيون) أو بصيغة أخرى خارجون عن الدين أو منحرفون عنه، لذلك يجب جهادهم شرعا وهو ما يبرر اختيار هذه

82- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد بن تاويت وآخرين، دار الثقافة، البيضاء، 1985، ص43- 46 -79 -156 -157 -185 -21 -26، وابن القطان، نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص168 وابن أبي زرع، الأنيس المطرب، دار المنصور، الرباط، 1973، ص222 .

83- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ق1 ج1، ص168.

84- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 45 و 141 و 223 وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص192 و 221 و 222.

الكلمة ذات الشحنة الدينية والتي يفضلها الموحدون كثيرا منذ عهد ابن تومرت كما يظهر كتاب البيدق[85]. وتتبعها كلمة جواز أو عبور[86] التي تحيل على عبور مضيق جبل طارق نحو الأندلس، فهي خاصة بهذه البلاد. وتليها كلمة سفر[87] التي يظهر أنها تستعمل للحديث عن التنقلات ذات الأهداف السلمية أساسا. وأخيرا نجد الزيارة[88] ويقتصر استعمالها على التنقلات الخاصة بالتوجه نحو المزار الديني للموحدين تينمل حيث قبر المهدي ومدافن خلفائه من بعده، ولأن الرحلة تحمل شحنة دينية وخاصة بالبحث عن البركة فقد استعيرت لها الكلمة المستخدمة في ارتياد قبور الأولياء.

من خلال عرض هذه الكلمات يبدو أن الحركة هي الأكثر تداولا وتعميما وقدرة على تغطية كل أنواع التحركات الموحدية من خلال معناها اللغوي، وبناء على ذلك تكون الأنسب للاستعمال في البحث، وستصبح في القرون الموالية المصطلح الدال على هذه الأعمال بشكل احتكاري، بل واتخذت شكلا عاميا" الحْرْكَة "لكثرة التداول.

وبالرغم من حديثنا العام عن العصر الموحدي وكذلك استمرار كثير من عناصر الحركة حتى سقوط الدولة كما يؤكد هذا النص لابن عبد الملك المراكشي:" فهذه هيئة الترتيب وقد شاهدته مرات في بروز المعتضد والمرتضى المذكورين وأبي العلا إدريس ابن أبي عبد الله بن محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن آخر الأمراء المعتبرين عندهم"[89]، فإننا سنركز على مرحلة القوة عندما كانت كل عناصر التنظيم حاضرة ومحترمة بغيرة، وتمتد ما بين دخول مراكش عام 541هـ/1146م وموت الناصر عام 610هـ/1213م. ويتضمن الجدول التالي أهم الحركات التي قام بها الخلفاء الأقوياء.

85- البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور، الرباط، 1971.

86- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 211 و212 و213 و222 وابن عذاري، المصدر السابق، ص69 وابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964، ص452.

87- ابن عذاري، المصدر السابق، ص214، وعبد الواحد المراكشي، المعجب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، البيضاء، 1978 ص. 404 و485، ومجهول، الحلل الموشية، عبد القادر زمامة وسهل زكار، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979، ص152 ، وابن عبد الملك، المصدر السابق، ص168.

88- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص194، وابن عذاري، المصدر السابق، ص78 و185، وعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص416.

89- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص169.

ر.ت.	السنة	المنطلق	الخليفة	الوجهة
1	1150/545	مراكش	عبد المؤمن	سلا
2	1152/547	"	"	بجاية
3	1153/548	مراكش	"	سلا
4	1158/554	مراكش	"	إفريقية
5	1159/555	إفريقية	"	جبل طارق
6	1162/558	مراكش	"	سلا
7	1170/566	مراكش	أبو يعقوب يوسف	الأندلس
8	1180/576	"	"	إفريقية
9	1183/579	"	"	الأندلس
10	1187/583	"	يعقوب المنصور	إفريقية
11	1189/585	"	"	الأندلس
12	1192/588	"	"	فاس
13	1195/591	"	"	الأندلس
14	1203/599	"	الناصر	فاس
15	1204/601	"	"	إفريقية
16	1212/609		"	الأندلس

الحركات الموحدية في عصر القوة

ويظهر الجدول أن الخلفاء كانوا في حركة دائمة وأن حياتهم مقسمة بين إقامة في مراكش وخروج إما في اتجاه إفريقية أو الأندلس أو مدينة فاس، وهذا يؤكد أن هذا الأمر ضروري لممارسة السلطة المسندة إليهم، وليست اختيارا منهم.

2- تنظيم الحركة ورمزيتها

2-1- تنظيم الحركة

2-1-1- ترتيب الموكب الخليفي

خضع الموكب الخلافي أثناء الحركة لترتيب محكم، حيث حدد شكله وموقع كل عناصره، لكل واحد مكان لا يتجاوزه أو يحيد عنه وإلا كان العقاب نصيبه. ويتخذ الموكب الشكل التالي:

الراية البيضاء

↓↑

مصحف عثمان

↓↑

مصحف المهدي

كتب الصحاح

مسانيد الحديث

↓↑

الخـليـفــة

↓↑

الرايات و الطبول الكبار

↓↑

الوزير+الأمراء+ الشيوخ+ رجال الدولة+ الطلبة

↓↑

القبـائـــــــــــــــــل+ العسكـــــــــــــــــــــر

↓↑

الـــــــــــــــــمـــــــــــــــــحـــــلـــــــــــــــــــــة

<u>الموكب الموحدي</u>

2-1-2- إعداد الحركة

عندما يقرر الخليفة القيام بحركة يرسل رسائل إلى البلدان والقبائل يخبرها بوقت السفر ويدعوها للاستعداد والحضور[90]، كما يعد كل ما يحتاج إليه الجيش من أسلحة ولباس وروايا وقرب وحياض[91](1). ويكتب إلى العمال "يأمرهم بإصلاح المسالك وتوطية السبل وتمهيدها ونصب الجسور في أماكنها، وإعداد الأقوات وترغيدها، وتيسير المرافق وتوفير العلوفات، وأن لا عذر لهم فيما يحتاج إليه الجيش من الموجودات"[92]. وكان الموحدون يحرصون على توفير المؤن بشكل كاف على طول الطرق وفي كل المنازل كما يؤكد هذا النص لابن الأثير "وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها إلى المنازل وطينوا عليها فصارت كأنها تلال."[93]. وتنبع أهمية هذه المسألة ليس فقط من دقة التنظيم، ولكن أيضا من حرص الموحدين على عدم تكليف الرعية بإطعام الجيوش وخيولها كما تفعل باقي الدول. وعندما يقدم السكان شيئا فمن باب الضيافة والتطوع كما حصل عام 583هـ/1192 م لما حل المنصور بفاس حيث "أقام الناس بها في تضييف خرق العوائد بتنافس الرعايا في ذلك على الأعياد يأتون بجفان تحمل الواحدة منها عدة من الرجال عليها عدة جزر يأكل منها جموع فلا يأتون لها على انتهاء."[94]

واعتاد الخلفاء بناء دور لنزولهم في نهاية أغلب المراحل على طول الطرق المسلوكة[95]، أما في المنازل الثانوية فيتخذون قبة كبيرة لإقامتهم[96]، ثم صنع المنصور "أفراك المعد لنزوله في غاية الحسن والجمال"[97] وهو عبارة عن خيمة كبيرة متعددة الغرف.

وهكذا تصبح الحركة جاهزة للانطلاق.

---

[90]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7، ص71.

91- نفسه، ص8، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت،1979، ج11، ص241 وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص450.

92- ابن عذاري، المصدر السابق، ص186.

93- ابن الأثير، المصدر السابق، ص241.

94- ابن عذاري، المصدر السابق، ص186.

[95]- نفسه، ص79، وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص440 و422.

96- ابن خلكان، المصدر السابق، ص137.

97- ابن عذاري، المصدر السابق، ص171 و 185، وعرفه محقق كتاب بلغة الأمنية كما يلي: " خيمة كبيرة مقسمة إلى أبهاء و بيوت تنصب للملوك لينزلوا بها خلال أسفارهم ويفرق بينهم وبين منازل الناس، تكون جدرانها عادة من نسيج غليظ رفيع، وما زالت الكلمة مستعملة بهذا المعنى إلى الآن في القصور السلطانية المغربية " تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984، ص43.

2-1-3- *سير الحركة*

يصل الوقت المحدد للرحيل فيخرج الخليفة من العاصمة مراكش من باب دكالة غرب المدينة[98]، وينصب فسطاطه خارج أسوارها[99] في انتظار تكامل الجموع ووصول القبائل، لكنه قد ينطلق لتتلاحق به في الطريق أو عند المرور ببلادها[100] أو في محطات التجمع الرئيسية سلا وسبتة وتلمسان.

يبدأ السير بعد صلاة الصبح عندما "يضرب طبل كبير مستدير الشكل، دوره خمسة عشر ذراعا منشأ من خشب أخضر اللون مذهب" ثلاث ضربات ويسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع، ويسمونه طبل الرحيل[101]، ثم ينادي مناد الاستخارة بالله والتوكل عليه كما تنص على ذلك تعاليم المهدي ابن تومرت[102]. ويركب الناس و"يخرج الخليفة من خيمته راكبا وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب، فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيرا رفيقا، ثم شيئا من الحديث، ثم يقرأون تواليف المهدي ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، فإذا فرغوا وقف الخليفة أيضا وبسط يديه ودعا، وإذا كان وقت النزول أيضا نزلوا مشاة بين يديه إلى خيمته، فإذا بلغها بسط يديه ودعا، فلا يزال هذا دأبهم في جميع سفرهم كله."[103]

يسير الموكب في حركة بطيئة ومشي رفيق[104]، ويقطع كل يوم مرحلة (ما بين 30 و40 كلم) مما يتطلب وقتا طويلا جدا. فمثلا يقطع المجد الراكب المسافة بين سلا وتونس في

98- ابن عذاري، المصدر السابق، ص118 و 157، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص213.
99- ابن خلكان، المصدر السابق، ص7.
100- ابن عذاري، المصدر السابق، ص79، و ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص438، و ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص222.
101- الحلل الموشية، ص152.
102- ابن القطان، المصدر السابق، ص168، وعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص485.
103- نفسه.
104- ابن عذاري، المصدر السابق، ص79.

سبعين يوما، بينما تتطلب من الموكب الخليفي ستة أشهر[105]، لكنه في حالات الطوارئ قد يجد في السير ويقطع المسافات الطويلة في وقت قصير وقياسي[106].

تخرج الحركة في أوقات محددة من السنة إلا في حالات الطوارئ. وتقول بعض المصادر إن "معظم حركاتهم في صفر"[107]، لكن ذلك يبقى نسبيا[108] إذ يرتبط اختياره بموافقته لموسم الحركات في فصلي الربيع والخريف على عادة أهل المتوسط برا وبحرا ارتباطا بالمناخ والإنتاج الزراعي كما يوضح هذا الكلام لابن عذاري: "ثم جدد المنصور عزمه وقدم حزمه بعدما سقطت جمرة المصيف وتمكن فصل الخريف، شرع في التأهب للحركات"[109]، وأورد أيضا أن الناصر خرج إلى العقاب في شهر مارس وقرب أبريل عام 608هـ/1211م[110]. لقد كان الوقت المناسب للحركة هو الاعتدالان الربيعي والخريفي.

وتخضع الحركة لنظام دقيق وانضباط كبير حتى إن ابن الأثير يقول عن عبد المؤمن: "وبلغ من حفظه لعساكره أنهم يمشون بين الزروع، فلا تتأذى بهم سنبلة"[111]، وكان ابن تومرت قد حرم مس الزرع وحث على إغاثة المظلوم في الطريق[112]. ودفع هذا الحرص على النظام المنصور عام 591هـ/1195م إلى نفي أحد رجال دولته وهو أبو زكريا يحي بن الشيخ أبي إبراهيم "لتخلفه عن المبيت بالمحلة ليلتين"[113]. وكانت الحركة تصلي مع إمام واحد بتكبيرة واحدة "لا يتخلف منهم أحد كائنا من كان"[114](33)، بالرغم من ضخامة عدد المشاركين إذ وصل إلى نصف مليون في بعض الحركات ومائتين ألف في أخرى[115].

في وقت التوقف تنتقل الحركة من شكلها الطولي العمودي لتتخذ شكلا دائريا أو شبه دائري بحيث تحتل خيمة الخليفة أو منزله المركز ثم يحيط به الموكب حسب رتبة كل طرف

105- الحلل الموشية، ص152.
106- ابن عذاري، المصدر السابق، ص197.
107- ابن خلكان، المصدر السابق، ص8، وابن الأثير، المصدر السابق، ص241-242.
108- قمنا بعملية تحديد موقع شهر صفر من شهور السنة الميلادية التي عرفت تنظيم حركات فوجدنا أنها يتراوح ما بين فبراير وأكتوبر، مما يعطي بعض المصداقية للقول بتفضيل شهر صفر للسفر ما دام الأمر ممكنا في أغلب الحركات.
109- ابن عذاري، المصدر السابق، ص159.
110- نفسه، ص210 و 259.
111- ابن الأثير، المصدر السابق، ص241-242.
ابن الأثير، المصدر السابق، ص241-242.
112- ابن القطان، المصدر السابق، ص169.
113- ابن عذاري، المصدر السابق، ص159.
114- ابن الأثير، المصدر السابق، ص241-242، والنويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985، ص421.
115- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص202، وابن عذاري، المصدر السابق، ص141.

وموقعه من الدولة[116]. وتخصص فترة التوقف للنظر في شؤون الدولة عامة ومنطقة التوقف خاصة، واستقبال الوفود المهنئة والشعراء ومناظرة العلماء وطلبة الموحدين[117]. ويلاحظ هذا الحرص على العلم والمناظرة والمدارسة وهو ما يعكس المكانة الكبيرة التي يحتلها عند الموحدين إذ "أصبح جل أمراء الدولة الموحدية شغوفين بالعلم، متزينين به في أشخاصهم، مشجعين عليه في رعيتهم، وتلك صورة لا نعثر على نظائر لها كثيرة في التاريخ الإسلامي"[118]. وفي هذا تحقيق لأحد شروط الخلافة وهو العلم. فابن تومرت عالم مجتهد صاحب مذهب وعبد المؤمن تلميذه وحافظ مؤلفاته وخاصة كتاب "أعز ما يطلب" وأبو يعقوب جمع بين علوم الشرع والعقل خاصة الطب والفلسفة والمنصور مجادل كبير وأبو العلا إدريس المأمون عالم بعلوم الشرع[119].

وكانت المنازل مكانا للفرجة عند مرور الحركة حيث يخرج النظارة للمشاهدة والتفرج[120]، فقد كان الرباط يتحول أيامها إلى متنزه كبير[121]، ويسمح للناس بالغناء والرقص من قبل الخلفاء ترفيها وتخفيفا لمتاعب السفر والتنقل[122].

وعادة ما يحتاج الخلفاء إلى أدلاء لمساعدتهم على معرفة معالم الطرق المجهولة، فالمنصور استعان عام 583هـ/1187م في حملته على إفريقية بالعباس بن عطية الزناتي[123]. وهذا ليس استثناء وسنجد له شبيها في حركات أخرى.

يظهر جليا مما سبق، أن تنظيم الحركة يخضع لترتيب دقيق في كل تفاصيله ولا شيء يترك للصدفة، وهي تعكس القدرة العالية التي يملكها الموحدون في ميدان التنظيم. فماذا تحمل من رموز؟

116- الحلل الموشية، ص153.

- ابن عذاري، المصدر السابق، ص222، وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص497، والنويري، المصدر السابق، ص428.[117]

118- النجار عبد المجيد، المهدي ابن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص382.

119- نفسه، ص382- 385.

120- ابن عذاري، المصدر السابق، ص69 و 118 و 159.

121- الحميري، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 319."وهذه البلدة وقت مرور المحلات عليها متفرج عظيم، ولا سيما في الأعوام الخصبة والفصول المعتدلة، [وناهيك من] ساحل طوله ميلان وعرضه نحو ميل، والزوارق هناك بركابها والمنارة مطلة عليها، وعلقات الثمار وعقد الزيتون وقباب_الجلوس للسادة هناك فهي إحدى متنزهات الدنيا." وعن إعداد المدينة لمرور الحركات كتب " وفي هذه المدينة المحدثة (...) منافع أعدت لورود المحلات عليها".

122- البيدق، المصدر السابق، ص74.

123- ابن عذاري، المصدر السابق، ص197.

2-2- *رمزية الحركة*

إن التمعن في شكل الموكب وحركته يكشف أننا أمام عملية اختزال لكل النظام الموحدي فكريا وماديا، فهي بمثابة عرض لهذه الدولة بشكل مصغر يمكن ضبطه عيانا.

يتخذ الموكب شكل مثلث يحتل قمته علم أبيض وقاعدته الجيش والمحلة بكل مكوناتها، وعلى العلم مكتوب[124]:

1- الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله.

2- وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله، وأفوض أمري إلى الله.

إنها كلمة التوحيد محور مذهب الدولة والذي أخذت منه اسمها، ووجوده في قمة الموكب تأكيد على الإيمان بتفرد الله وسلطته المطلقة في الدولة وإليه المرجع والمآل. وإلى جانبها نجد شعار المهدوية التي بشر بها ابن تومرت وأمر بالإيمان بها وتصديقها، واعتبر نفسه مهديا جاء لينشر العدل، وهو المعصوم من الخطإ، وكل من رفضها يحكم عليه بالقتل.

يلي العلم المصحف العثماني ومصحف ابن تومرت وكتب السنة الصحاح والسنن، وهذا عرض صريح وواضح لأصول التشريع عند الموحدين، وقد وعى المعاصرون مثل ابن صاحب الصلاة هذا الأمر فكتب:" وحين رأى الناس والنظارة ما ذكرته [ترتيب الموكب] رأوا عجبا، وأمرا مغربا تيقنوا في ذلك من دين الخليفة ويقينه من اهتباله بكتاب الله تعالى واهتمامه به وعظيم إقباله."[125]، ويضيف عبد الواحد المراكشي "وكأن لسان حال هذه الهيئة يقول إن الراية منذرة بإطلال صاحبها على مقصوده، وأنه داع إلى ما يقتضيه الكتاب والسنة، فمن أطاعه كان مسلما له، ومن عصاه حاربه بهذا الجيش الذي هو من حزبه."[126] ويدعم هذا الأمر ترتيل القرآن عند انطلاق الحركة وعند توقفها في كل مرحلة بصوت عال وتجويد حسن، ودعاء الخليفة المتكرر وقراءة مؤلفات المهدي في التوحيد وكتب الحديث. وهذا كله يجعلنا نحس وكأننا أمام موكب صوفي وليس موكبا لقائد سياسي لتتأكد الصبغة

---

[124]- ابن القطان، المصدر السابق، ص168.

[125]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص440.

126- المعجب، ص169.

الدينية لهذا النظام[127]، وكذلك تسخيره القوي للدعاية لنظامه والتعريف به في كل نقطة يمر بها من الإمبراطورية.

وتصل الصبغة الدينية والدعاية قمتها في أوقات الصلاة، حيث تتعالى أصوات المؤذنين الذين يعينون لهذه المهمة ويتوارثون منصبهم، واشتهر منهم أهل الرياض وأهل برج دار الكرامة وأهل برج أهل الدار وأهل برج الطبالة "هؤلاء الأربعة هم أهل السفر مع الخليفة"[128]، وتتم الصلاة مع إمام واحد الذي هو في العادة الخليفة بتكبيرة واحدة كما سبقت الإشارة. وعلينا أن نتصور ما يثيره من مشاعر جياشة لدى السكان المجاورين تجمع هذا العدد الهائل لتأدية الصلاة دفعة واحدة.

وفي مرتبة ثالثة يأتي الخليفة كأول رجل في الدولة والساهر على تنفيذ ما جاء في المصادر السابقة والساهر على سلامة الخلق، فهو خليفة الله والمنفذ لأوامره حتى بحد السيف كما أشار إلى ذلك النص السابق.

وينقل الموكب بضخامته وقوة تنظيمه وفخامته رسالة تظهر قوة الدولة وغناها مما يثير الخوف والرعب في قلوب الأعداء والطمأنينة في نفوس الأولياء. وتظهر الفخامة أولا، من تزيين المصاحف وكتب السنن، فابن صاحب الصلاة يصف المصحف العثماني قائلا: "وعلى مصحف عثمان كلة حمراء تصونه، والمصحف المكرم منظم حول حفاظه بالجوهر النفيس والياقوت الأحمر والأصفر والأخضر الغريب، والزمرد الأخضر النفيس العجيب، قد جلبت أحجار الياقوت والزمرد والجوهر إلى الخليفة الأول الرضي خليفة المهدي ثم لابنه أمير المؤمنين (...) وكلل بها جوانبه إكليلا (...) وفيه جوهرة تشبه حافر الفرس."[129] ويزيد عبد الواحد المراكشي في وصفه: "يحملونه بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة

127- النجار، المرجع السابق، ص386.

128- البيدق، المقتبس من كتاب الأنساب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1971، ص58.

129- المن بالإمامة، ص439 و 440، و قد وجد هذا المصحف في مسجد قرطبة و جلبه عبد المؤمن عام 552هـ/1157م، و عند انهزام السعيد بتلمسان عام 645هـ/1248م و نهبت محلته وفقد، ثم ظهر عند بني عبد الواد الذين أخذه منهم أبو الحسن المريني عام 737هـ/1337م، وصار يحمله معه و فقده في هزيمة طريف عام 741هـ ثم استعاده بعد ثلاث سنوات. المقري، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2 ،ص135-136، والتنسي، تاريخ بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985،ص123.

من الديباج الأخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه وعن يساره عصيان عليهما لواءان أخضران، وموضع الأسنة منهما ذهب شبه تفاحتين."[130]

وحظي مصحف ابن تومرت بنفس الاهتمام حيث يقول المراكشي عنه: "وخلف الناقة بغل محلى أيضا، عليه مصحف آخر يقال إنه بخط ابن تومرت دون مصحف عثمان في الجرم محلى بفضة مموهة بالذهب."[131]

ويصف ابن عبد الملك زينة كتب السنة بقوله:" ويتبعه بغل من أفره البغال يحمل ربعة كبيرة مربعة الشكل في ارتفاع ذراع أو نحوها وقد غشيت كذلك بحرير، وضمنت الموطأ لمالك وصحيحي البخاري ومسلم وسنني أبي داود والنسائي وجامع أبي عيسى الترميذي. وكان عوام ذلك الوقت يقولون فيه بغل المصحف وهو غلط منهم."[132]

يستمر استعراض القوة من خلال العدد الكبير من الأعلام بداية بالراية البيضاء في مقدمة الموكب ومرورا برايات كبيرة وكثيرة خلف الخليفة مباشرة بلغ عددها ستة عشر راية إضافة إلى رايات القبائل بألوان مميزة[133]، بحيث يصير الموكب زاهي الألوان رائق المنظر. وإلى جانبها نجد الطبول التي بلغ عددها في عهد ابن تومرت مائة طبل وفي عهد عبد المؤمن مائتين، وهي ضخمة ومربعة الشكل "يخيل لسامعها إذا ضربت أن الأرض من تحته تهتز ويحس قلبه يتصدع من شدة دويها"[134]، ويتقدمها طبل الرحيل الذي يسمع على بعد مسيرة نصف يوم.

يشارك الخلفاء من خلال أشخاصهم في هذا الاستعراض للقوة بفرض تميزهم في المظهر. فإذا كان ابن تومرت وبعده عبد المؤمن في سنواته الأولى قد اكتفيا بلباس بسيط يقتصر على قميص وسروال وجبة تواضعا منهما[135]، فإن أمور الحكم سرعان ما فرضت على الأخير اتخاذ لباس خاص بلون خاص، حيث نجده يستقبل وفد إشبيلية بسلا عام

130- المعجب، ص367، و ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص168-169.

131- نفسه.

132- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص169.

133- البيدق، أخبار المهدي، ص36-37، وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص431.

- المعجب، ص339-340، وابن عذاري، المصدر السابق، ص157، وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص203.[134]

135- ابن القطان، المصدر السابق، ص172.

545هـ/1150م بغفارة زبيبية وعمامة صوف[136]، وسيصير هذا اللباس خاصا بالخلفاء بعده إذ "اختصوا بلباس الغفائر الزبيبية والبرانس المسكية (...) زي الخليفة في حالتي ركوبه وجلوسه في كل موطن." ومنعوا حتى القرابة من اتخاذه[137].

وتلعب هذه الرموز دورها بفضل الحضور الجماهيري الكبير في كل الطرقات والمنازل، إذ يتدفق الناس لمشاهدة الموكب والخليفة خاصة للتبرك برؤيته[138]. وكان هذا المشهد في كثير من الأحيان كافيا لتوقيف ثورات واستسلام أصحابها أو فرارهم كما حصل لعرب إفريقية سنة 579هـ/1183م.[139]

يحضر الحركة كل الجهاز الإداري الموحدي (الحكومة) بكل مكوناته خاصة السياسية: الخليفة والحاجب أو الوزير والكاتب وقاضي الجماعة وبعض الشيوخ والأمراء وطلبة الحضر والقبائل والعساكر النظامية... بل حتى السجن المركزي لكون الخلفاء يحملون معهم بعض السجناء الخطيرين[140]. وفي كل محطة توقف تجتمع الحكومة برئاسة الخليفة لدراسة أحوال البلاد التي يتم التوصل بأخبارها عن طريق المراسلة. ويلعب الرقاص (حامل البريد أو الرسول) دورا أساسيا في ذلك[141]، إذ يتخذون من منزل الخليفة مركزا لهم وينتقلون ما بين المغرب وإفريقية والأندلس برا وبحرا وبسرعة تمكن من تبليغ الأخبار ونقل الأوامر باستمرار وفي وقتها. ويلتحق عمال ووفود البلدان أيضا بمكان نزول الخليفة للتهنئة بالمناسبات المختلفة أو الإخبار بشؤون بلادهم[142]، كما تحول وجهات السفراء نحوه كما حصل لابن منقذ رسول صلاح الدين الأيوبي مع المنصور إذ طلب منه انتظاره بفاس[143].

وتنقل أموال الجباية إلى الخليفة أنى وجد كما حصل مع مشرف تونس عام 569هـ/1173م عندما نقل أموال خراجه إلى إشبيلية حيث يوجد أبو يعقوب يوسف[144]،

136- ابن عذاري، المصدر السابق، ص44.
137- نفسه، ص187.
138- نفسه، ص69 و 159 و 218.
139- نفسه، ص157.
140- نفسه.
- نفسه، ص 65 و 66 و 75 و76 و 78 و 141 و 143 و 190 و 197 و 203 و 209 و 243 و 259 و 410[141].
142- نفسه، ص 157 و 204، و ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص517، و ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص192.
143- نفسه، ص209.
144- نفسه، ص130.

وقد يفيد هذا تنقل خزينة الدولة مع الحركات خاصة وأنها تحتاج إلى أموال ضخمة. ففي سنة 576هـ/1180م "كان [أبو يعقوب يوسف] يعطي في البركة لعساكره في غزوته إلى قفصة ألف ألف دينار تمادى في ذلك مدة غزوته إلى أن انصرف سوى العلوفات والمواساة والمرافق في كل منزل."[145]

إن تنظيم الحركة وترتيب الموكب والرموز التي يحملها يظهر أننا أمام انتقال كامل للجهاز الموحدي بإديولوجيته وعناصره وأمواله، إنه دعاية للدولة وتعريف بها وتقريب للإدارة من الرعايا لإخضاعهم وحل مشاكلهم كما سنرى في الوظائف. ويلعب الرقاص والرسائل الدور الكبير في عمل الحكومة لذلك يمكن أن نطلق عليها اسم حكومة المراسلة. ويمكن أن نلاحظ أيضا أن مركز الدولة يتنقل تبعا لتنقل الخليفة مما يفقده طابعه الجغرافي ويعطيه صفة رمزية، فالخليفة هو الدولة التي تتحرك بتحركه وتتوقف بتوقفه ووجودها رهين بوجوده مما يؤكد الطبيعة الفردية لهذا الحكم كما سيتأكد فيما سيأتي.

3- وظائف الحركة

تجمع المصادر على أن حركات الخلفاء الموحدين تأتي في غالب الأحيان من أجل غزو (بجاية - إفريقية – شرق الأندلس) أو رد عدوان (هجومات مسيحيي الأندلس – احتلال بني غانية لشرق البلاد) أو الزيارة (قبر المهدي في تينمل) أو الاستجمام (زيارة المنصور لفاس)، لكن هذه الأسباب تبقى ظاهرية أو مباشرة إذ تخفي وراءها دوافع عميقة ومتعددة تعكسها الرموز التي تحملها كما سبق توضيح ذلك وأعمال الخلفاء أثناء الحركات.

إن أول ما يلفت الانتباه في هذه الحركات هو كونها تتخذ اتجاهين رئيسيين بشكل تناوبي: مراكش ـ إفريقية ومراكش ـ الأندلس، وهو ما يوافق كل أرض الإمبراطورية من الغرب نحو الشرق ومن الجنوب نحو الشمال. ويكشف هذا الاختيار الرغبة الواضحة للحضور المستمر في المجال الترابي للدولة. فالحركات هي وسيلة تحديد ورسم هذا المجال من خلال محورين رئيسيين ومحور ثانوي:

145- نفسه، ص141.

1- مراكش ← سلا ← سبتة أو قصر المجاز ← جبل طارق ← إشبيلية

2- مراكش ← سلا ← فاس ← تلمسان ← بجاية ← تونس

3- مراكش ← تينمل

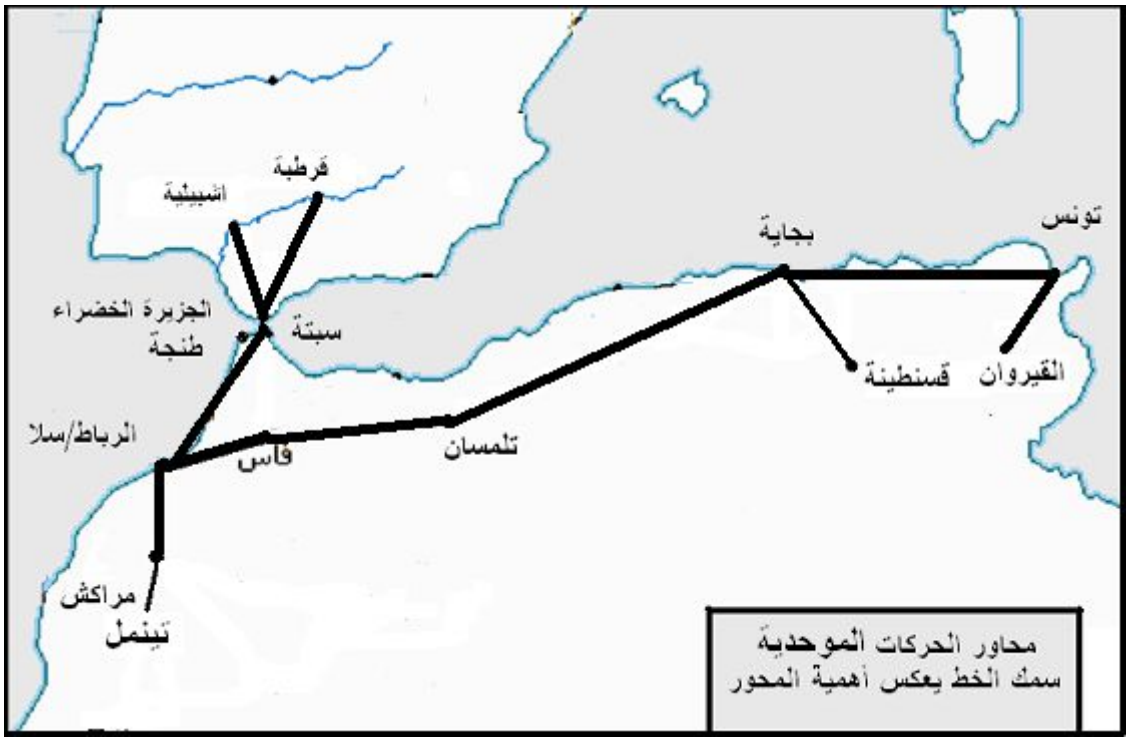

ويلاحظ أن المجال يحدد بشكل مركزي في الوقت الذي كان يفترض أن يحدد من الهوامش والحدود الخارجية. ويبرر هذا الأمر بكون الحدود بمفهومها الدقيق لم تظهر بعد؛ وأنها تعتمد على حدود طبيعية أو بشرية، وبنظرة المسلمين إلى المجال الذي هو عبارة عن وحدات تتمحور حول المدن الكبرى والمحاور الطرقية وبواسطتها يتم التحكم في كل الإقليم ومناطقه الهامشية. ومن خلال هذا التصور وبناء على سير الحركات يبدو أن المجال الموحدي ينقسم إلى ثماني وحدات تتركز حول العواصم الرئيسية (مراكش – سلا/الرباط – فاس – تلمسان – بجاية – تونس – إشبيلية) التي تتركز بدورها حول العاصمة الرسمية مراكش أو حول أحد هذه المراكز مؤقتا عند وجود الخليفة بها. إنه مجال يتحرك مع حركة الخليفة حجر الزاوية في الدولة.

إذن، أمام صعوبة المواصلات وطولها يضطر الخلفاء إلى التحرك باستمرار لفرض حضورهم المعنوي والمادي، فالحركة ضرورة ملحة لممارسة الحكم وتعبير عن قوة الخليفة، وكل تخل عنها يعتبر عيبا ونقصا في شخصه وضعفا منه كما هو شأن المستنصر الذي تقول عنه المصادر إنه "لم تكن له حركة تذكر، ولا غزوة تشهر، ولا خرج من حاضرة مراكش إلا لمدينة تينمل على عادتهم في زيارة المهدي."[146]

الحركة أيضا تحديد لحدود ومجال سلطات الخليفة وعماله، فقد اعتاد الخلفاء الاستعانة بأبناء البيت الحاكم (السادة) وبعض الشيوخ وأشخاص آخرين في الإدارة، وكان هؤلاء يتصرفون بنوع من الاستقلالية والاستبداد ولا يرجعون إلى الخليفة في كل الأمور، إنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب الأمر ومساوين للخليفة "لا فرق بين أحدهم [القرابة] وبين الخليفة سوى نفوذ العلامة."[147]، فكان على الخليفة بين الفينة والأخرى أن يؤكد سلطته ويكبح جماح هؤلاء، ولذلك نجد أخبار الحركات مليئة بتأديب العمال والحكام. فعند عودة عبد المؤمن من إفريقية عام 555هـ قبض على وزيره وحاجبه وقريبه عبد السلام الكومي وعلى عماله بتلمسان وسجنه ثم قتله[148]، وعزل أبو يعقوب يوسف في إشبيلية عام 566هـ عاملها

---

[146]- نفسه، ص265، والحلل الموشية، ص162، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص242.

[147]- المعجب، ص404.

148- ابن عذاري، المصدر السابق، ص68، و ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص200.

وصادر أمواله بعد حساب عسير[149]، وفي عام 579هـ أوقع بمشرف فاس وعاملها ومشرف مكناس وتازة وثمانية عشر عاملا آخرين لخيانتهم وصادر أموالهم وغرمهم[150]. وفي حركتي 586هـ و591هـ، اقتص المنصور من العمال الظلمة[151]. وعاقب الناصر عمال فاس ومكناس وسبتة وقصر كتامة عامي 604هـ و608هـ[152]. ويلاحظ أن هذا العمل كان روتينيا ومتواصلا مما يؤكد الرغبة القوية في تأكيد سلطة الخلفاء مع إظهار الاستجابة لشكاوى الرعايا الذين يفسح لهم المجال لتقديمها، كما أوصى بذلك ابن تومرت[153]. وبذلك يتحقق مكسب مزدوج: ضبط العمال وإسترضاء الرعية.

الحركة مناسبة للبناء والتشييد بمختلف المدن والمنازل. ففي عام 545هـ حل عبد المؤمن بسلا فزود المهدية (قصبة الأوداية في الرباط) بالماء المجلوب من عين غبولة[154]، وحفر أساس رباط الفتح وبنى به قصرا[155]، وعند غزو بجاية بنى رباط تازة[156]، وفي زيارة عام 548هـ لتينمل جدد ووسع مسجدها[157]، ثم بنى مدينة بجبل طارق عام 555هـ[158].

وعند عبوره الأول إلى الأندلس، أعاد أبو يعقوب يوسف إجراء ماء عين غبولة الذي كان قد تعطل وبنى له صهريجا، وشيد جسرا على أبي رقراق[159]، وبنى منزلا بسبتة[160]، وأثناء إقامته في إشبيلية (566-571هـ) أنجز أعمالا كثيرة منها قنطرة على الوادي الكبير وقصور البحيرة خارج باب جهور وجلب الماء لقصوره وللمدينة[161]، وبنى جامع إشبيلية

149- نفسه، ص121 و 135.
150- نفسه، ص158.
151- نفسه، ص224 و 225 و 204.
152- نفسه، ص249 و 259 و 26.
153- نفسه، ص204 و 259، و ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص431.
154- البيدق، أخبارالمهدي، ص73، و ابن عذاري، المصدر السابق، ص43.
155- نفسه.
156- مجهول، كتاب الإستبصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، 1985، ص186.
157- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص194.
158- نفسه، ص200، و ابن عذاري، المصدر السابق، ص66.
159- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص449-450.
160- المعجب، ص361.
161- ابن عذاري، المصدر السابق، ص121 و 124 و 130 و 133، وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص461.

الكبير وأسواقا حوله ورمم جامع ابن عدبس القديم[162] وجامع قرطبة وقنطرتها وأقام أرصفة على الوادي وجلب الماء لها[163].

ولم يقصر المنصور في هذا الميدان إذ فرش جامع القيروان عام 583هـ[164]، وبنى حصن الفرج على ضفة نهر إشبيلية عام 587هـ[165]، وجدد قصبة الرباط عام 588هـ[166]، وتمم جامع إشبيلية الكبير وبنى مناره وأنشأ نواعير على النهر عام 591 هـ[167].

وشارك الناصر في العمل العمراني حيث بنى قصبة فاس وأسوارها عام 595هـ، وبنى وجدة وسور المزمة وقصبة بادس وسقاية عدوة الأندلس بفاس والباب الجوفي لجامع الأندلس ومصلى عدوة القرويين عام 604هـ[168].

لقد كانت الحركات مناسبة للتعمير والإنشاء في كل العواصم وخاصة الرباط وفاس وإشبيلية التي استفادت أكثر من غيرها، ويكشف ذلك عن الاهتمام الذي حظي به المغرب والأندلس والتهميش شبه التام للمغربين الأوسط والأدنى.

خلال الحركات، يلتفت الخلفاء للعامة محاولين دغدغة مشاعرها.

أولا، بما يفشونه من صدقات سخية حيث توزع الأموال في المنازل والمدن. فقد زار عبد المؤمن تينمل عام 548هـ "ففرق في أهلها أموالا ضخمة"[169]، وفي سنة 555هـ اشترى سوقا في بجاية لورثة رجل كان قد أحسن إليه أثناء مروره بها رفقة ابن تومرت[170]. وكان أبو يعقوب يتصدق بالأموال الكثيرة بالمنازل[171]. وقبل الأرك، وزع المنصور أربعين ألف دينار نحو نصفها للعامة وفعل نفس الشيء بعدها[172].

162- نفسه، ص485-486.
163- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص211-212.
164- ابن عذاري، المصدر السابق، ص190.
165- المعجب، ص418.
166- ابن عذاري، المصدر السابق، ص214.
167- نفسه، ص222 و 227
168- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص232-233.
169- نفسه، ص194.
170- المعجب، ص337-338.
171- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص451.
172- المعجب، ص411، وابن عذاري، المصدر السابق، ص227.

وثانيا، بتغيير بعض المناكر المخالفة للدين مثل إزالة عبد المؤمن لقبر سطيح في سطيف لافتتان الناس به[173] والمنصور للصورة على باب الزهراء ونكبة ابن رشد لاشتغاله بالفلسفة وتفريق تلاميذه[174].

وثالثا، "البحث عن المتظلمين بكل منزل وبكل واد"[175] ورد المظالم، وفي هذا الصدد نجد المنصور عام 582هـ يهدم غرفة لأحد الأعيان يدعى أبا القاسم ابن الملجوم لكونها تكشف الديار المجاورة ومسلخ حمام نساء[176]، أما الناصر فيستضيف التجار ويطمئنهم بعد الاضطرابات التي عرفتها إفريقية سنة 601هـ[177]، وربما؛ قدم لهم تعويضا ماديا، بالرغم من أن المصادر لا تذكر ذلك.

هكذا يلاحظ أن الخلفاء الموحدين أثناء الحركة يقومون بكل الأعمال اليومية التي يزاولونها أثناء إقامتهم، ويوزعون جزءا من اهتمامهم على الأقاليم. إنهم يحكمون بالانتقال إلى أماكن الأحداث وبالقرب من الرعية.

خاتمة

الحركة ليست مجرد عمل استثنائي وظرفي يأتي ردا على حدث طارئ كما تظهر المصادر ومن كتبوا على منوالها، فهي من خلال رمزيتها ووظائفها وسيلة وطريقة للحكم تعوض نقص المواصلات وتهزم شساعة البلاد. وهي تظهر أن الدولة لا تتمحور حول العاصمة السياسية (مراكش) بقدر ما تتركز حول شخص الخليفة كسلطة أولى ووحيدة، يتنقل المركز بتنقله مما يعطي المجال صفة حركية.

%

173- البيدق، أخبار المهدي، ص74.
174- ابن عذاري، المصدر السابق، ص205 و 226.
175- نفسه، ص 187.
176- نفسه، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص67-68.
177- نفسه، ص248.

الفصل الثالث

الحركة المرينية

يأتي النموذج المريني في نهاية العصر الوسيط مما يمنحه الفرصة ليكون أكثر تعقيدا وتكاملا لاستفادته من التجارب السابقة ومن التراكمات الحضارية. فهل استطاعت الحركة المرينية أن تحقق هذا التفوق؟

يهتم المقال بدراسة الحركة في الفترة الممتدة ما بين دخول المرينيين مراكش عام 668هـ/1269م وموت السلطان أبي عنان عام 760هـ/1361م، فخلال هذه الفترة نضجت التجربة المرينية في الميدان دون نسيان استحضار مبدإ التدرج في تشكل صورتها النهائية. فقد بدأت بسيطة في عهد يعقوب المنصور ثم تطورت وتحسنت تدريجيا لتبلغ الأوج مع السلطانين أبي الحسن وأبي عنان. وسنعمل على تسجيل هذه التغيرات كلما كان الأمر ممكنا.

بالرغم من أن المصادر المختلفة للفترة تقدم بعض المعطيات المتفرقة هنا وهناك حول فترة ما من زمان الدراسة والتي اعتمدناها لمناقشة بعض التفاصيل والتحولات التي عرفها الجانب التنظيمي، فإن أحسن ما كتب هو ما قدمه شاهدا عيان شاركا في الحركة وسجلا تفاصيل أحداثها، وأقصد بهما ابن مرزوق وابن الحاج النميري[178]، ويمكن أن نضيف إليهما ابن فضل الله العمري[179] وبدرجة أقل الحسن الوزان[180]. ولم نقتصر بالطبع على المصادر المرينية، بل استعنا ببعض النصوص من مصادر الدول المعاصرة؛ وريثة الموحدين، وخاصة الحفصيين لملء بعض الفراغات استئناسا بها لا تأكيدا لما حوته. وقد وفرت كل هذه المصادر مادة جيدة ستساعد على وضع صورة واضحة للحركة في هذا العهد.

178- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.
النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قدح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة وبلاد الزاب، تحقيق محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

179- العمري ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، ج4، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2001

180- الوزان محمد بن الحسن الفاسي، وصف إفريقيا، 2أج، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

وسيتم تناول الموضوع من خلال محورين، يركز الأول على تنظيم الحركة والثاني على وظائفها وإظهار دورها في ممارسة السلطة على أن يختم بتقييم للتجربة المرينية.

1- تنظيم الحركة

إن تتبع محتويات مصادر الدراسة يبين أن المصطلح المفضل والأكثر تداولا لنعت تنقل السلاطين وأسفارهم هو كلمة حَرَكَة[181]، وأحيانا تستخدم كلمة غزاة[182]، لذلك اخترنا الأولى لكثرة تداولها واستعمالها.

1-1- ترتيب الموكب السلطاني

لا توفر المصادر معلومات أو وصفا دقيقا للموكب في السنين الأولى للدولة لكنها تشير بشكل عام إلى ما يميزه من الضخامة والفخامة، فهذا ابن أبي زرع يقول عن يعقوب المنصور عام 666هـ/1267م: "ثم خرج إلى تلمسان(...) في احتفال عظيم وزي عجيب، بالقباب والعيال والجيوش الوافرة والركاب والأموال"[183]. وحول حركة 670هـ يقول: خرج "في احتفال عظيم وأمر قبائل بني مرين أن يخرجوا بجميع عيالاتهم ونجبائهم في زيهم وأن يظهروا قوتهم ليغيظوا بذلك أعداءهم، فخرجت قبائل بني مرين بالجمال المحلاة والمراكب الملبسة بالديباج والقباب المزينة والجواري المولدات تقودها الرجال في أحسن زي وأتم جمال"[184]، وفي عام 710هـ/1310م "ركب [أبو سعيد عثمان] من قصر رباط تازة إلى خارج المدينة في زي عجيب واحتفال عظيم"[185]. فهذه النصوص الثلاثة تحيل

181- فيض العباب، ص. 399 و 410 و 411 و 471 ، وابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر، ضبط خليل شحاده، دار الفكر، بيروت، 2000، ج7، ص. 243 و 244 و 291. تستعمل الكلمة في هذه المواضع مفتوحة بصيغة عربية فصيحة على عكس ما سيحصل في الفترات اللاحقة عندما سكنت بصيغة عامية، وقد وضحنا ذلك أيضا في مقالنا الخاص بالحركة في العهد الموحدي.

182- نفسه، ص. 313.

183- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، دار المنصور، الرباط، 1972، ص.305.

184- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص.129.

185- الأنيس المطرب، ص. 396.

على فخامة الموكب بشكل عام وفضفاض، لكنها لا تقدم لا عناصره ولا مكوناته ولا كيفية تنظيمه مما لا يسمح بالحكم على مستوى هذه الفخامة المذكورة. إلا أن السنين الموالية ستحمل وصفا دقيقا خاصة عند شهود العيان الذين ذكرناهم في التقديم. وقد اعتمدنا هذه المصادر لرسم خطاطة للموكب سندعمها من باب المقارنة والتوضيح بالرسم المستنبط من المعطيات التي قدمها الوزان.

العلم الأبيض[186]

↓↑

الحـــــــــــــرس

(أندلسيون- وصفان السيوف- عدويو القضبان- مسيحيون- فرسان- غز)

↓↑

قبة المصحف ←——→ **قبة صحيحي البخاري ومسلم**

↓↑

الســـلطـــان

↓↑

الحـــــــــاشـيـــــة

(حكومة- شيوخ بني مرين- شيوخ العرب- مسايرون)

↓↑

الحـــــــــــــرس

(أندلسيون-وصفان السيوف-عدويو القضبان-مسيحيون-فرسان-غز)

↓↑

الأعلام والطبول

↓↑

الجـــــيـــــــــــــوش

↓↑

المحلـــــــــة (هوادج الجواري-الأمتعة-التجار-العلماء-المتصوفة...)

الموكب المريني

[186]- فيض، ص. 223-227، المسند، ص. 456، العمري، ص. 109 و 132-133.

الأعلام

↓↑

الطبول

↓↑

رئيس الإصطبلات وحاشيته

↓↑

العلاف وأصحابه

↓↑

قواد الرحى

↓↑

رئيس التشريفات

↓↑

الكتاب

↓↑

خازن المال

↓↑

القاضي

↓↑

قائد الجيش

↓↑

السلطان وحاشيته

↓↑

أصحاب السلاح

↓↑

رئيس الخدم المسلحون والحصان

↓↑

أسرة الملك

↓↑

الفرسان الخفاف والقذافون ورماة البنادق

الموكب المريني حسب الوزان[187]

[187]- وصف إفريقيا، ج1، ص. 290.

2-1- إعداد الحركة

عندما يقرر السلطان لسبب ما تنظيم حركة إلى جهة معينة تبدأ الاستعدادات على قدم وساق مبكرا. وتنطلق بإرسال الرسائل إلى مختلف المدن والقبائل لدعوتها للمشاركة والاستعداد الجيد وإخبارها بموعد الالتحاق بالسلطان، وقد يرسل مبعوثون للقيام بذلك تبعا لأهمية الحركة والجهة المقصودة. فقبل حركة يعقوب المنصور لتلمسان في عام 670هـ/1271م "سرح ولده وولي عهده أبا مالك إلى مراكش في خواصه ووزرائه حاشدين في مدائنها وضواحيها قبائل العرب والمصامدة وبني ورا وغمرة وصنهاجة وبقايا عسكر الموحدين بالحضرة، وحامية الأمصار من جند الروم وناشبة الغزو"[188]. ونفس الشيء تكرر قبل غزوتي 671هـ و676هـ[189].

وأثناء ذلك يقوم السلطان بإخراج فسطاطه ونصبه خارج البلد[190]كعلامة على صدق الخبر وعزمه القوي على الغزو، وتشجيعا للقبائل على التعجيل بالاستعداد والالتحاق بالتجمع واختبار مدى طاعتها، فإن أظهرت فتورا أو عدم اهتمام فككه وتراجع عن قصده. وقد ينصب الفسطاط أحيانا لترهيب العدو الذي يعلن عن نية توجيه الحركة إليه ذلك أن مجرد الإعلان عن الحركة كان يثير قلق القبائل عامة؛ فما بالك بالمتمردة منها، وقد تتوقف عن شغبها وعصيانها[191].

عندما تتجاوب القبائل تتقاطر على الحضرة من جميع الآفاق وتجتمع حول المدينة البيضاء قبل الانطلاق[192]. وقد يفضل السلطان تجنبا للازدحام والعنت أن تجتمع بالحضرة القبائل القريبة فقط على أن ينتظره الباقون على حدود البلاد الشرقية (تازة) أو الشمالية (قصر المجاز)[193] حسب وجهة الحركة. وفي مركز التجمع الأخير يستعرض السلطان القبائل والأجناد للتعرف على من حضر والتأكد من كفايتهم للغزو، ثم تفرق الأموال والخيل والعدد

188- الأنيس، ص.309 والذخيرة، ص. 129 والعبر، ج7، ص.243-244.
189- نفسه، ص.314.
190- العمري، ج4، ص.132 والنميري، ص.232-233.
191- لم نجد نصوصا صريحة خاصة بهذه الفترة ولكنها وافرة بالنسبة للأندلس كما ورد في مقالنا المذكور أعلاه.
192- النميري، ص.220.
193- الأنيس، ص.309 و314.

على بني مرين والعرب والأجناد[194]. ونظرا لكثرة أعداد المشاركين[195]وما يسببه من ازدحام في الطريق وتنافس على المرافق (الماء والمراعي خاصة)، يفضل السلاطين تقديم بعض الكتائب أمامهم[196] فتخفف الضغط من جهة وتفتح الطريق أمامهم من جهة ثانية، مما يجعلنا نعتقد أن في الأمر تخطيطا عسكريا لا يفصح عنه للعموم.

عندما تصل الاستعدادات إلى نهايتها يعلن عن انطلاق الحركة. وعادة ما يتم الرحيل بعد صلاة الصبح وقراءة الحزب وشيء من الحديث من طرف الطلبة والمحزبين في حضرة السلطان[197]، وبعد انتهاء اجتماع السلطان بالوزراء وكاتب السر الذي يخصص لاستعراض القضايا الراهنة واتخاذ القرارات اللازمة[198]، وبعد قرع طبل الرحيل وركوب المشاركين ووقوفهم صفوفا وفق رتبهم المعلومة[199]. فإذا أسفر الصبح ركب السلطان يتقدمه علمه الأبيض والمصحف العثماني والمسند وبين يديه الرجال والخيل فيمر بين الصفوف ويسلم عليه الجنود بأصوات عالية وتقرع الطبول التي تحت البنود الكبار ثم تتوقف[200]، وآنذاك يشرع في المسير. ويتكرر هذا الاستعراض عند كل ركوب ونزول[201].

ولا نتوفر على نصوص تشير مباشرة إلى القراءة أثناء سير الموكب، لكننا وجدنا شهادة عن وجودها أوردها ابن أبي زرع عند حديثه عن غزوة الأندلس عام 676هـ تقول: "ثم أسرى إلى الأقواس فارتفعت هنالك أصوات المسلمين بذكر الله سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الأرض من أصواتهم"[202]. ولا ندري هل هذا الأمر عام في كل الحركات أم لا، إلا أننا نرجح وجوده؛ حتى ولو في جزء من الطريق، بناء على التقليد المعروف عند الموحدين قبلهم[203].

وفق هذا النظام تتقدم الحركة نحو غايتها المرسومة وعلى وتيرة مضبوطة.

194- الذخيرة، ص.129 والعبر، ج7، ص.393 والنميري، ص.239.
195- وصل في غزوة تلمسان عام 670هـ إلى 30 ألف رجل دون المرافقين، العبر، ص.243-244.
196- النميري، ص.220.
197- المسند، ص.455 والعمري، ج4، ص.132.
198- نفسه، ص.455-456.
199- نفسه، ص.456 والعمري، ص.132.
200- نفسيهما.
201- المسند، ص.463.
202- الأنيس، ص.352.
203- انظر مقالنا المشار إليه أعلاه.

3-1- سير الحركة

تنطلق المسيرة من ضواحي المدينة البيضاء، وبالرغم من أن المصادر لا تعطينا أي إشارة حول نظام السير إلا أن التقاليد التي ترسخت في المنطقة تؤكد أن الحركة تسير وفق نظام المراحل، بحيث تقطع كل يوم مرحلة (ما بين 30 و 40 كلم) وبعدها تنزل في محطة معروفة توفر حاجيات المشاركين من ماء وحطب وعلف ومرعى وأمن. إلا أن هذه السرعة قد ترتفع عندما يكون السلطان مستعجلا أو أثناء المرور من طريق غير آمن. وقد حصل هذا الأمر للأمير يوسف بن يعقوب في غزوة إشبيلية عام 284هـ عندما مر من طريق وعر ومخيف فجد في السير مما تسبب في تفرق موكبه واضطر بعد ذلك إلى انتظار المتخلفين والبحث عمن تأخر من الرجال[204]، وكذلك مع أبي عنان عندما خاف هجوم العرب[205].

وتظهر المصادر أن السلاطين كانوا حريصين على الحفاظ على نظام دقيق في الانطلاق وعند السير بإطلاق إشارات البدء واستعراض الجيوش عند الركوب والنزول في كل منزل، وكذلك الصلاة في جماعة والتوقف للصلاة إذا أدركتهم[206]. لكن الأحداث التي تسجلها نفس المصادر وخاصة بعد الهزائم أو أثناء المرور بأماكن الخوف تبين أن هذا النظام هش ولا يخضع لصرامة كبيرة. ففي حركته لعام 758هـ/1358م "ارتحل [أبو عنان] من قسنطينة مغربا غير مختار لنداء من في محلته بقولهم: "الغرب الغرب" خرج من له بتونس كالفارين"[207]. وفي نفس الوجهة أصابت الحركة عاصفة قوية في نواحي وجدة فحصل شبه تمرد في أوساط الجيوش إذ تخلت عن أزيائها وسلاحها ومراسيم الأدب مع السلطان أبي عنان دون أن يقدر على عقابها، بل إن أعدادا منهم هربت بعدها كما يستنتج من هذا الكلام للنميري الذي يقول: "صدرت المراسم الشريفة بأخذ الهاربين، والأخذ بأفواه

204- الأنيس، ص.352-353.
205- فيض، ص.475.
206- العمري، ص.110.
207- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التريكي، الدار التونسية، تونس، 1968، ص.175 والعبر، ج7، ص.394.

الشعاب على الذاهبين، واشتد في ذلك اشتدادا أسلم أقواما إلى العقاب والنكال"[208]. ويمكن تفسير ذلك بضعف الولاء للدولة المرينية ومعاصراتها من الدول في هذه الفترة والذي يرتبط بدوره بغياب قاعدة شرعية متينة كالتي مثلها المذهب التومرتي عند الموحدين.

ويطرح تموين هذا الحشد الهائل مشكلا حقيقيا. وإذا كانت بعض النصوص تظهر أن السلاطين يوفرون المؤونة للجيوش كما فعل أبو عنان عند عودته من حركة قسنطينة وتوقفه بالمسيلة حيث "أقام (...) حتى أثقلت ظهور الكراع، وحملت الأطعمة المختلفة الأصناف والأنواع، وأشعر الناس بالمسير على الصحراء"[209]، فالظاهر أن الأمر يتعلق بحاشية السلطان وأن باقي الناس أمروا بالتزود بحاجياتهم، وحتى إن عم في هذه المناسبة فلأن السلطان غير الطريق المعهودة. فالمرينيون ـ عكس الموحدين ـ كانوا يكلفون السكان بتموين الجيش طوعا، كما يحصل مع بعض الأولياء إذ يتطوعون لاستضافة الحركة كما فعل ابن مزني عامل الزاب في حركة قسنطينة حيث "رد عامة معسكره [أبو عنان] بالقرى من الأدم والحنطة والحملان والعلوفة ثلاث ليال"[210]، أو كرها، إذ تجبر القبائل على توفير الطعام والعلف للجيوش، وهي عادة عامة في العصر لم يخالفها إلا الموحدون، فالزركشي يذكر أن الحفصيين يفرضون التضييف على القبائل في حركاتهم[211]. وفي نفس الاتجاه تكلف القبائل بكل أشغال الجيش من تسهيل للمرور وتهيئ للطرق ونقل لآلياته الثقيلة وهدم لمباني الأعداء[212]، وخص الأندلسيون بإنزال الجيوش في مساكنهم[213]. وقد يتكفل الجيش؛ أمام قلة الضبط، بتوفير حاجياته عن طريق نهب واغتصاب ممتلكات السكان وخاصة الزروع التي تكون في الحقول أو البيادر. وإذا كانت المصادر المرينية تسكت عن الموضوع فإن التيجاني الحفصي قد ترك نصا عن الحفصيين يعكس قسوة الجيش التي تجاوزت كل الحدود؛ يمكن الاستعانة به لتبين الأمر لا لتأكيد وجوده عند المرينيين، يقول فيه: "ووجدنا بعض المرابطين قد زرع على أحد جانبيه [وادي] زرعا بلغ في ذلك الزمان

---

[208]- فيض، ص.491-492

[209]- نفسه، ص.480.

[210]- العبر، ج7، ص.394.

[211]- الزركشي محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص.107.

[212]- فيض، ص.448 و 450 و 274.

[213]- نفسه، ص.284.

أن يكون علفا للبهائم مرعى، وقد قام عليه ليمنعه من الجيش مدلا برباطه، فآثرت دهماء الأجناد رعي الزرع على رعيه، وانجلى الأمر على إبطال كدح المرابط وسعيه"[214]. وغني عن التعليق أن نذكر بالأضرار التي تلحق السكان في ظل اقتصاد القلة الذي كانوا يعيشون عليه، وهذا ما يبرر الرعب الذي يصيبهم بمجرد سماع خبر تنظيم حركة إلى جهتهم حتى ولو كانوا موالين للسلطة القائمة.

وفي الأوقات العادية فأهل المحلة يتزودون من سوقها الذي يحتل حيزا كبيرا ويصل إلى درجة عالية من الضخامة. ويصف ابن أبي زرع سوق محلة شريش عند حصار المدينة من قبل يعقوب المنصور عام 684هـ قائلا: "أخبر من تفقد أسواقها من أهل البحث أنه رأى فيها أصناف الصناع، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته ما عدا الحياكة خاصة، وأما سوق الغزل والكتان فقد كانا بها، إذ أخذ سوق المحلة السهل والوعر، إذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لا تكاد تلقاه إلا بعد اليوم والثلاثة لكثرة الخلق"[215]، ويوضح الوزان أكثر عندما يقول: "خارج المعسكر، حيث تقام دكاكين الجزارين والبزازين وبائعي القديد، أما التجار والصناع الذين يتبعون الجيش فينصبون خيامهم بجانب خيام البغالين"[216]. فأنت ترى أن سوق المحلة ضخمة وتزداد حجما كلما طالت مدة إقامة الجيش وكثرت الغنائم، ومنها يتزود أهل الحركة بحاجياتهم من السلع والخدمات مقابل دفع قيمتها نقدا كما يصرفون فيها حصصهم من الغنائم.

1-4- المنازل

تختلف أماكن نزول السلاطين مع أن النصوص تظهر أن المرينيين يفضلون النزول في معسكرات خارج العمران سواء كانوا على أبواب مدن كبيرة أو محطات صغيرة وفقيرة عمرانيا. ولم نسجل حالات لنزولهم في القصور إلا في العواصم الإقليمية كتازة التي

214- التيجاني عبد الله بن محمد، الرحلة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص.133.
215- الأنيس، ص.352.
216- الوزان، ج1، ص.291.

ينزلون في قصرها العثماني وتلمسان[217] إضافة إلى مراكش والرباط. وأحيانا ينزلون في قصور بعض أوليائهم من رجال الدولة كما حصل لأبي عنان لما نزل بروض ابن داوس بتقاوس ببسكرة بالزاب[218]. أما في غير هذه المراكز فالنزول يتم في الفساطيط والأخبية التي شهدت صناعتها تطورا كبيرا وأصبحت رمزا للفخامة ومجالا للتفاخر بين رجال الدولة. ويبدو؛ على الأقل في بداية الدولة، أن مراكش كانت المركز الرئيسي لصناعتها[219]، وهذا ليس بالأمر الغريب ما دامت المدينة صاحبة الإرث الموحدي الضخم في المجال. ويذكر ابن خلدون أن السلاطين كانوا يتباهون في الفساطيط في السفر وأنها بدأت بسيطة ثم صارت فخمة كنوع من الترف[220]. وكان السلاطين حتى عهد أبي الحسن ينصبون خباء واحدا لهم ولأسرهم وخباء يسمى خباء الساقة للاجتماع برجال الدولة[221]، ولما جاء أبو عنان بالغ في الفخامة واستحدث ما يسمى بالأفراك أو الأفراق وهو سياج من الكتان[222] وصفه بدقة كل من النميري والوزان لكن وصف الثاني أبسط لذلك سنورده، ويقول عنه: "هو سور من كتان على صورة أسوار قصر بشرفاته، مربع الشكل طول كل جهة خمسون ذراعا، يقام في كل زاوية برج صغير بشرفاته وسقفه، ويعلو سقف كل برج كرة جميلة تبدو وكأنها من ذهب. وفي السور أربعة أبواب، يقف عند كل واحد منها حرس من الخصيان. تضرب الأخبية داخل السور (...) وتقام حول السور خيام القواد. ويقرب رجال الحاشية إلى الملك"[223]. ويظهر من الوصف أنه قصر كتان حقيقي ومتنقل.

ويثير المخيم بفخامته وشساعته شهية اللصوص أو بعض القبائل المعارضة مما يعرضه للتسلل أو الهجوم لذلك تضرب عليه حراسة طول الليل.[224]

وتلحق هذه المعسكرات أذى كبيرا بالبيئة نتيجة التلوث الكبير الذي تسببه فضلات الجيش، وقد وعى المعاصرون ذلك وتجنبوا أذاه، فهذا يعقوب المنصور يأمر بتغيير موقع محلته بوادي لُك استقذارا له لطول إقامة الناس به وملئهم له بالفضلات[225].

217- فيض، ص.493 و485.
218- نفسه، ص.465.
219- العبر، ج7، ص. 258.
220- نفسه، ج1، ص.330-331.
221- الأنيس، ص.309 والذخيرة، ص.130 والمسند، ص.335.
222- العبر، ج1، ص.331.
223- الوزان، ج1، ص.290-291.
224- الأنيس، ص.353 وفيض، ص.259-260.

وينشغل السلاطين أثناء التوقف بأنشطة كثيرة تملأ معظم أوقاتهم.

وتمثل الأعمال الإدارية الشغل الأول لهم إذ يقضون فيه جل وقتهم، فهم يستقبلون ولاة وعمال المنطقة ويستفسرونهم عن شؤونها كما يحاسبونهم على كل تقصير أو تجاوز، ويعينون ولاة جددا عند الحاجة، ويتلقون زيارة شيوخ القبائل ووفودها وعلمائها ومتصوفتها فيسألون الجميع حول أحوال البلاد ويستدرون الدعاء من الأواخر[226]. ويجبرون القبائل التي توقفت عن أداء جباياتها على دفعها بعد المحاسبة وعن كل السنين التي مرت[227].

وحظي قضاء المظالم والحسبة بعناية كبيرة خاصة من قبل أبي الحسن وأبي عنان، حيث عوقب قضاة وولاة أحباس وزعماء قبائل خاصة العربية بالمغرب وإفريقية عقوبات وصلت إلى حد القتل[228].

ويستغل السلاطين المناسبة أيضا لجلب الأتباع والأولياء ونشر الدعاية في البلاد بالمنح والمكافآت التي يفرقونها على بعض الناس والعلماء وخاصة المتصوفة والأولياء، ثم الصدقات التي توزع على العامة والمعوزين والمساجين والمعسرين[229].

ولا ينسى السلاطين الراحة والاستجمام فيعقدون مجالس المسامرة بعد صلاة العشاء بحضور الوزراء والعلماء والشعراء للمذاكرة في شؤون العلم وسماع الشعر وقصائد المديح[230]. ويزورون بعض المنشآت العمرانية التي أنشأوها أو التي تركها الأولون وأضرحة الأولياء تبركا بها[231]، ويلعبون الشطرنج[232]، ويحضرون لعب الجيوش البرية والبحرية الاستعراضي[233].

ويمثل الصيد هواية محبوبة عند المرينيين يبدو أنها تخلفت من ماضيهم في الترحال والبداوة[234]. ويصطادون الكركي (الغرانيق)؛ وهو صيد الملوك، والحمر والبقر والنعم

225- الأنيس، ص.351.
226- فيض، ص. 251 و254 و285-286 و381 و456 و490، المسند، ص.327.
227- نفسه، ص.465 و 403.
228- الأنيس، ص.391-392 والمسند، ص.311-312 و306-307 وفيض، ص.201 و282 و285-286.
229- المسند، ص.327 وفيض، ص.231-232.
230- الأنيس، ص.363 والمسند، ص.464 وفيض، ص.242 و365 441.
231- فيض، ص.201-203 و266 و417-418 و438-470 و 204 و266 و486.
232- الوزان، ج1، ص.291.
233- الأنيس، ص.358 و362.
234- الوزان، ج1، ص.291.

والغزلان والمها والأرانب والحجل باستعمال البزاة (الصقور) والكلاب الضارية[235]. ويخرج السلاطين للصيد أثناء سير الحركة، بحيث ينسلون من الساقة مع الخواص والوصفان ويمارسون الطراد لبعض الوقت قبل العودة إلى الموكب، أو أثناء التوقف في المنازل[236].

وتمثل الحركة فرصة للفرجة والمتعة للساكنة المقيمة في المنزل أو قريبا منه، حيث يجتذب منظر الجيش بلباسه الأبيض وأسلحته المتنوعة وخيوله المزينة ونظامه ولعبه الاستعراضي وغناء جواري السلطان[237] انتباه الجمهور وفضوله، ويضاف إلى هذا حرص المرينيين على تنظيم حفلات الاستقبال خاصة بالمدن. ويذكر ذلك النميري بمناسبة حلول أبي عنان ببجاية فيقول: "وأشخص الوزراء والخواص من اعتمل في ترتيب القبائل وحفظ نظام الجحافل"[238]. وكانوا يلزمون كل أصناف الحرف بالمشاركة فيها فيحضرون وقد "تميز كل صنف من أرباب الصناعات والحرف الموفرة للبضاعات بأعلام فيها صور الآلات التي يستعملونها خصوصا، ويبدون على الانفراد بشعارها ظواهرا ونصوصا، وتوشح جميعهم بالبياض الرائق المزري بأقحوان الحدائق، واحتملوا القسي البديعة الحسن، وتقلدوا السيوف المعتاص وصفها على اللسن"[239].

وكان الجمهور يتجاوب مع هذه الاحتفالية في كل مكان تمر به الحركة في المدن والقرى والمغرب وإفريقية والأندلس، وقد وصف النميري ذلك بتفصيل في تلمسان وتازة وطولقة وبسكرة وفاس[240].

هكذا يكون مرور الموكب مناسبة لتجمع أعداد كبيرة من الناس مرغمين لما يقتضيه بروتوكول الاستقبال (أرباب الحرف وأولياء السلطان) أو مخيرين بدافع الفضول وحب الفرجة؛ وربما، الطعام الذي يعقب الاستقبال. فمرور الحركة موسم تجتمع فيه كل أشكال اللهو واللعب مما يسوق لصورة السلطان ودولته.

235- العمري، ج4، ص.121 وفيض، ص.194-195 و494.
236- فيض، ص.194-195 و494.
237- نفسه، ص.265 و496-497.
238- نفسه، ص.263.
239- نفسه، ص.498.
240- نفسه، ص.484 و492 و444 و437 و495-498.

وعلى هذا الشكل تنظم الحركة في صورتها المكتملة في أوج الدولة لكن علينا أن نتذكر ولا ننسى أنها بدأت بسيطة قبل هذا النضج وأن نستحضر المستويات الوسيطة لها. فما هي الوظائف التي تؤديها؟

2- وظيفة الحركة:

2-1- رمزية الحركة

إن التمعن في تركيب الموكب السلطاني وتنظيمه يكشف أننا أمام اختزال قوي ومعبر عن كل مكونات الدولة المرينية مذهبيا وسياسيا وإداريا، إنه تلخيص وتركيز لتصور المرينيين للسلطة.

يتخذ الموكب شكلا هرميا يحتل قمته العلم الأبيض وقاعدته المحلة.

العلم الأبيض شعار الدولة ويسمى أيضا العلم المنصور "وهو أبيض مكتوب بالذهب نسيجا من الحرير آي من القرآن بدائر طرته وحوله"[241]، ولكن المصادر لم تحتفظ بأي معلومات حول الآيات المكتوبة عليه[242]. ووجود هذه الآيات دليل على تمسك الدولة بالقرآن ومن ورائه الإسلام واتخاذه نبراسا ونهجا مرشدا. ولو حاولنا أن نفترض بشأن الآيات المكتوبة لاتجهنا إلى إثبات آيات في التوحيد والتمسك بالرسالة المحمدية.

ويتأكد هذا عند المستوى الثالث حيث القبتان و"لهما غشاءان من الحرير مذهبان من أبدع ما تراه العين (...) فأما القبة الأولى ففيها مصحف عثمان ابن عفان (...) أما القبة الأخرى ففيها صحيح البخاري وصحيح مسلم أحسن ما ألف في الحديث"[243]. وهذا تعبير صريح عن مذهب الدولة السني ومصدر التشريع عندها. وبتقديم السلطان لهما؛ مع ما يفترض أن

---

[241]- العمري، ج4، ص.133.

242- لم يجد محمد المنوني أي شيء في شأن ذلك فلم يتطرق للأمر، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص.156.

243- فيض، ص.225-226. والمصحف الذي يدور الحديث عنه ليس سوى ذاك الذي اعتاد الموحدون حمله في حركاتهم بعدما جلبوه من الأندلس. وقد بقي معهم حتى عام 646هـ عندما انهزم السعيد أمام يغمراسن بتلمسان فنهب معسكره وضاع المصحف، لكن يغمراسن وجده وصانه، وصار موضع تنافس بين المرتضى الموحدي والمستنصر الحفصي والغالب بالله النصري، كل يحاول أخذه منه لكنه ضن به عليهم وتوارثه خلفاؤه. (المسند، ص.460-461). وتختلف الروايات حول كيفية وصوله إلى المرينيين فابن أبي زرع وابن خلدون يقولان إنه كان هدية من أبي عبد الله ابن الأحمر لأبي يعقوب يوسف المريني عام 692هـ (الأنيس ص.383، العبر، ج7، ص.286)، والمصادر الأخرى تؤكد

يتضمنه العلم الأبيض، يكون كمن يقول للأولياء والأعداء على حد سواء إنني في خدمة الإسلام ومستعد للدفاع عنه وهو الحكم بيني وبينكم. وقد تنبه المعاصرون إلى ذلك فنقل ابن مرزوق نصا للمراكشي (سبق عرضه في الفصل السابق لكننا هنا سنكرره للتأكيد) ينبه إلى هذه الدلالة عند الموحدين جاء فيه: "إن هذه الراية منذرة بإطلال صاحبها على مقصوده وأنه داع إلى ما يقتضيه الكتاب والسنة فمن أطاعه كان سلما له ومن عصاه حاربه بهذا الجيش الذي هو من حزبه"[244]. ويتقوى الأمر أكثر بالحرص على قراءة حزب من القرآن قبل كل ركوب والتكبير والتهليل أثناء السير ومرافقة القراء والمؤذنين والصلحاء للموكب. إنه موكب التقوى والورع والأحق بأن يتبع ويرضخ لصاحبه الذي يحكم بالشرع ويعمل به.

وفي مرتبة رابعة يأتي السلطان وحاشيته التي تكون خلفه ومتأخرة عنه ولا يحاذيه في السير إلا من يطلبه لأمر ما. فهو صاحب السلطة الأول وصاحب القرار في كل شيء أما الآخرون فتبع له ومنفذون لأوامره، وهو أيضا الساهر على حماية الشرع الذي هو أمامه مباشرة.

في المستويين الثاني والخامس نجد الحرس السلطاني بمكوناته المختلفة، فهو يحيط بالسلطان والرموز الدينية على حد سواء وهو الوحيد المسموح له بتقدمهما. وهنا نسجل الهاجس الأمني الذي صار يسيطر على الدولة، وكذلك تقديم القوة العسكرية كوسيلة أولى لتثبيت سلطتها وشرعيتها، وبذلك يكون المذهب الديني في مرتبة ثانية. وهذا يعكس واقع الحال إذ الدولة لم تقم على مذهب محدد كمنطلق، ويمكن أن نستنتج ذلك حتى من الزخرفة التي خص بها المصحف والصحيحان؛ غشاء من الحرير وأغشية ودفات مزركشة إن لم تكن موحدية، فلا مجال للمقارنة مع الاحتفاء الموحدي بهما.

ويحاول الموكب أن يظهر فخامة الدولة في كل شيء وفي كل لحظة ليطمئن الأولياء ويرعب الأعداء والمتربصين بداية بالعلم الكبير ومرورا بالأعداد الكبيرة من الأعلام التي

أن أبا الحسن أخذه عند دخول تلمسان عام 737هـ، وهذه الرواية أرجح لكون أصحابها شهود عيان ومقربين من الطرفين (المسند ص.461 والزركشي، تاريخ، ص.646) إلا أن يكون ابن الأحمر أهدى مصحفا آخر فاختلط الأمر على ابن أبي زرع مع أن في عبارة ابن خلدون (فيما زعموا) ما يرجح ذلك. وضاع مرة ثانية في وقعة طريف وبذل أبو الحسن أموالا طائلة لاستعادته عام 745هـ بعدما ضاعت أغشيته ومزق وشي دفتيه (المسند ص.461).

[244]- المسند، ص.462، وهو ينسبه لابن عبد الملك لكنه للمراكشي، المعجب، ص.69. -

وصلت إلى مائة في عهد ابن خلدون[245]، وهي "ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير"[246]، ومتعددة الأعراض والألوان بين الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر وغيرها من الألوان المتفرعة منمقة بأنواع التطريز والخطوط[247]. ويقف أصحابها خلف السلطان وحاشيته. وهي تضفي جمالية على الموكب وترهب المشاهدين بقوة الدولة وفخامة الملك. ولا يقتصر الأمر على هذه الأعلام بل إن لكل قبيلة علمها الذي تجتمع حوله وتعرف به[248]، ولا ندري هل أدخل ابن خلدون هذه الأعلام في إحصائه أم لا، فإن لم يفعل فعدد الأعلام سيتجاوز عند ذلك المائتين، وإذا أضيفت إليها أعلام أهل الصنائع عند الاستقبال داخل المدن صار العدد أضخم وأكبر. وتحت البنود يقف أصحاب الطبول التي بلغ عددها المائة في عهد أبي الحسن[249]ما بين الصغير والكبير، و"ضرب الطبول محفوظ لأهل بيت خاص بهم من أهل مراكش"[250] مما يقتضي وجود طريقة دقيقة في ضربها ورثت عن الموحدين. وفصل الوزان في شأنها قائلا: "للملك طبالون كثيرون مزودون بطبول نحاس على شكل جفان كبار عريضة من أعلى ضيقة في أسفل مع جلد ممدود على أعلاها. ويحمل كل طبل حصان رحل، ويعادل بثقل موازن لأنه ثقيل جدا (...) يعتبر فقدان طبل من هذه الطبول عارا كبيرا، تدوي هذه الطبول دويا مفزعا، ويسمع دويها من مسافة بعيدة، فترتجف الخيول والرجال منها، وتقرع بعصب الثور"[251]. وتقرع عند ركوب السلطان وعند استعراضه للجيوش وعند قربه من المنزل[252]. ويظهر أيضا أنها تضرب وقت القتال. ويؤكد النميري ما ذكره الوزان من قوة تأثيرها عندما يقول عنها: " ألسنة عز نطقت فأنست زئير الأسود الضراغم (...) وملأت القلوب هيبة وروعا (...) وبشرت بالنصر"[253] ويلحق

---

[245]- العبر، ج1، ص.321 وج7، ص.357.
[246]- نفسه، ج1، ص.321.
[247]- فيض، ص.497-8.
[248]- الذخيرة، ص.130.
[249]- العبر، ج1، ص.321.
[250]- العمري، ج4، ص.130.
[251]- الوزان، ج1، ص.288.
[252]- المسند، ص.456 والعمري، ص.132-133 وفيض، ص.455.
[253]- فيض، ص.227.

بهم الزمارون الأتراك والنافخون في الأبواق الذين تتكفل المدن بنفقاتهم، ويستعملون عند الحرب[254].

ويساهم السلطان في دعم طابع الفخامة من خلال زيه وزي رجاله، ويشتمل على "عمائم طوال رقاق، قليلة العرض من كتان، ويعمل فوقها إحرامات يلفونها على أكتافهم من الجباب، ويتقلدون بالسيوف تقليدا بدويا، والأخفاف في أرجلهم (...) والمهاميز، ولهم المضمات وهي المناطق، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز (...) وتعمل من فضة، ومنهم من يعملها ذهبا، ومنها ما يبلغ ألفي مثقال"[255]. ويصف ابن مرزوق لباس أبي الحسن فيقول: "ويختص سلطانهم بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه"[256]. "وأكثر لباسه في المحافل الأبيض (...) كان يؤثر لباس الأحمر والأخضر (...) يؤثر الأصفر (...) كان يلبس الخز بعد مفاوضة علماء عصره (...) ويلبس خاتم الذهب على عادة الملوك" وبدله بخاتم فضة، و"في يده السكين التي لا يفارقها"[257]. هل هناك فخامة أكثر من هذه؟ ألا يبهر هذا الزي كل من رآه؟

وتساعد هيئة الحرس المرافق في زيادة الهيبة، وتحفل مصادرنا بمجموعة من التفاصيل والدقائق حول مظهره. فالعمري ينقل: "وبين يديه [السلطان] الرجالة والسلاح والخيل المجنوبة ببراقع الوشي"[258] ويواصل النميري قائلا: "لقواد الترك طبنخالات تحفظ نظامهم الشرقي ومزامير هائلة مما عرفوا الملك المصري، وبأعلى أعلامهم الشعر الذي جعلوه شعارا. ولسائر القواد أيضا زي تميزوا به في العساكر (...) وعلى جميع هؤلاء الأصناف أنواع الأقبية التي حسن لها التمييز، وكاد يقطر منها الذهب الإبريز (...) وفوقها المصفحات من الحلل والأنزاق، والأثواب البديعة المجلوبة من أرض الشام وأرض العراق، منسوقة بها المسامير المذهبة (...) والدروع الداودية (...) أما القلانس والشواشي المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس (...) اختص خيول الأجناد الأندلسيين بالبراقع البديعة الجمال المرسلة إرسال السجوف على ربات الدلال، وقد جعلت الكواكب الجلاجيل سماء

---

[254]- وفيض، ص.223 والوزان، ج1، ص.288.
[255]- العمري، ج4، ص.130
[256]- نفسه.
[257]- المسند، ص.129-130 و186.
[258]- مسالك، ج4، ص.132.

(...) فملأت الجو أصوات أجراسها (...) خلف هؤلاء الفوارس (...) جموع الأندلسيين المغاورين المرتجلة قد لبسوا الأقبية المختلفة الألوان وجعلوا فوق رؤوسهم الرتافيل التي هي أبدع من نور البستان واعتقلوا بالعصي الطوال (...) والعدويون اللابسون لأحسن الأثواب (...) بأيديهم القضبان"[259].

لباس جميل متناسق مذهب ومفضض وخيول جميلة ومبرقعة، وأسلحة مرصعة ألا يبهر كل هذا ويرعب؟

وتكتمل الصورة بالهوادج (القباب) التي ألف المرينيون استخدامها لحمل الجواري الحسان بالألبسة والحلي الرائقة والأصوات العذبة الناطقة "بذكر أيام الحروب والملاحم (...) داعيات إلى ركوب الجياد، والكر إلى مآزق الجلاد، وسل السيوف الباترة من الأغماد (...) والمدافعة عن الحريم والذياد عن الحمى"[260].

وتكون لكل هذه الرموز قيمة ودور بفضل حضور الجمهور الكبير وعيون وجواسيس الأعداء والمنافسين. وكان هذا المشهد أحيانا كافيا لإخماد ثورات وانحلال عزائم زعمائها. ويجب أن نشير إلى أن النصوص لم تحمل؛ ولو مرة واحدة، ما يعطي الانطباع بتبرك الجمهور بالسلطان، وهذا؛ ربما، يؤكد ضعف الشرعية لدى المرينيين إذ لم ينجحوا في إقناع الرعية بزعامتهم الدينية وحقهم السماوي في الحكم وقداسة شخوصهم.

ويحضر الحركة كل الجهاز الحاكم سلطانا ووزيرا وكاتب سر وشيوخ بني مرين والعرب وقواد الجيش وأصحاب الدواوين والقاضي والعلماء والصلحاء، إنها الدولة كاملة. وفي كل منزل يجتمع السلطان برجاله للتداول في كل الأمور الخاصة بالدولة[261]. وتلعب المراسلة دورا أساسيا في التواصل بين السلطان وباقي المناطق، حيث يتحول المنزل الذي ينزله السلطان إلى مركز للدولة وعاصمة لها منه تنطلق المراسلات وإليه تنتهي[262]، وتلتحق به الوفود من مختلف البقاع للسلام والتهنئة والبيعة في المناسبات[263]، كما يتوجه إليه عمال الجبايات بأموالهم وقد تحدث عنهم ابن خلدون عندما تكلم عن القبض على أتباع المرينيين

---

[259]- فيض، ص.223-225.
[260]- نفسه، ص.234.
[261]- نفسه، ص.490 والمسند، ص.455-456.
[262]- نفسه، ص.256 و285 و366.
[263]- نفسه، ص.251-253 و256 و381.

بقسنطينة بعد هزيمة أبي الحسن بالقيروان حيث قال: "وفيهم عمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجباياتهم وحسبانهم"[264]

إن الرموز التي تحملها الحركة تظهر أن دورها جد معقد وأنها وسيلة متنقلة للحكم تسمح بالاقتراب من مواقع الأحداث وتجعل حضور السلطان ممكنا في كل مناطق مملكته، كما تسمح بتبادل الأدوار بين حاضرة الملك وباقي مدن ومناطق البلاد.

2-2-أعمال الحركات والسلاطين

تكاد المصادر تجمع على أن ما يحرك حركات المرينيين دوافع عسكرية وسياسية في المقام الأول إضافة إلى زيارة مقابر الأسلاف بشالة والتي ظهرت مع أبي سعيد عثمان عام 710هـ وكررها أبو عنان عام 758هـ[265]، لكن هذه المحركات تبقى الوجه الظاهر للعملية إذ تخفي دوافع أعمق؛ وربما، حتى السلاطين وأهل العصر لم يدركوها ولا تكتشف إلا من خلال الرموز المعروضة أعلاه وأعمال السلاطين خلالها.

إن تتبع خط الحركات حسب تطور الدولة يعطينا الصورة التالية:

- **قبل 674هـ:**

فاس ↔ الرباط ↔ مراكش ↔ الرباط ↔ فاس↔ تلمسان ↔ فاس.

- **(674هـ-692هـ):**

فاس↔الرباط ↔ مراكش↔ الرباط ↔ فاس ↔ قصر المجاز ↔الأندلس ↔ قصر المجاز↔ فاس ↔ تلمسان↔ فاس.

- **الثلث الأول من ق8هـ:**

فاس↔ الرباط↔مراكش↔ الرباط ↔ فاس ↔ تلمسان↔ فاس.

---

[264]- العبر، ج7، ص.367.

[265]-نفسه، ج7، ص.320 والعمري، ج4، ص.136 وفيض، ص.194.

- **بعد ضم إفريقية:**

فاس ↔ الرباط ↔ مراكش ↔ الرباط ↔ فاس ↔ تلمسان ↔ إفريقية ↔ تلمسان ↔ فاس.

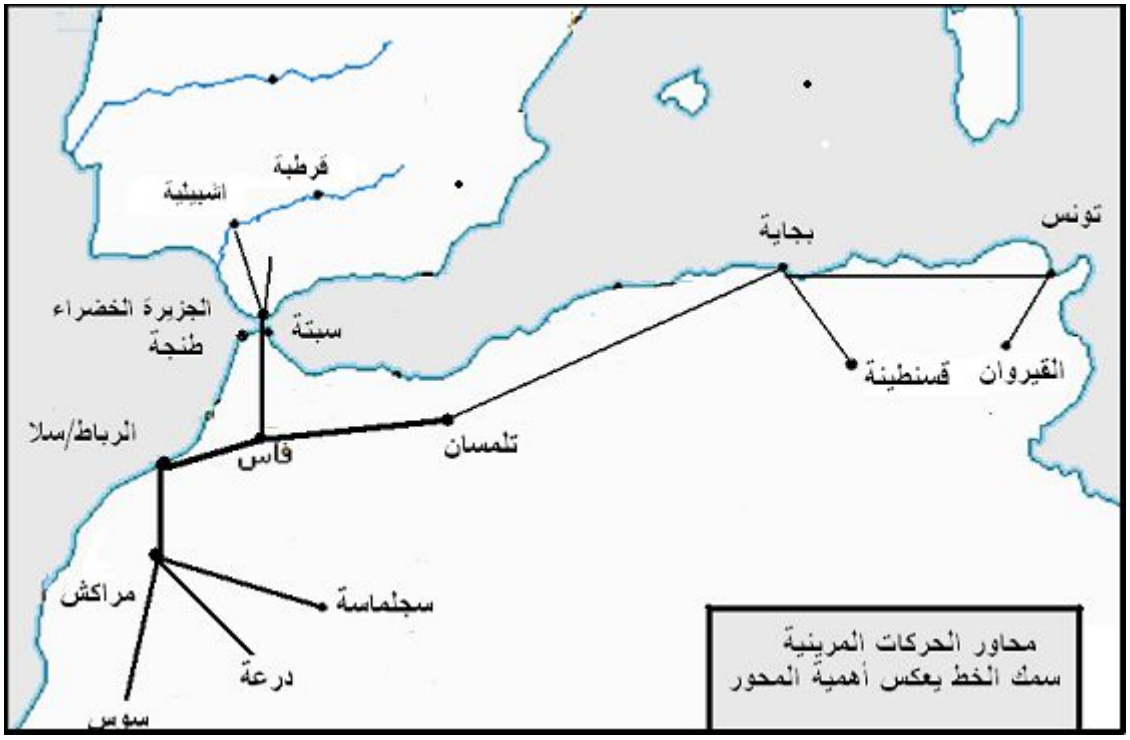

من خلال تأمل هذه الخطوط يمكننا بسهولة أن نسجل أن هناك حركة مكوكية بين مختلف أقاليم الدولة تتخذ اتجاهات شرق (تلمسان وما حولها) وجنوب (مراكش وما وراءها: سوس- درعة - سجلماسة) وشمال (الأندلس) بشكل متناوب. وهذا يكشف الرغبة القوية للسلاطين في الحضور الدائم في مجال الدولة، فكأن الحركة وسيلة لتحديد الحدود في عصر لم تكن فيه مرسومة وإنما تعتمد على معالم طبيعية أو بشرية (قبائل) غير مضبوطة، وتحديد علاقات هذه الهوامش بالمركز الذي هو الحاضرة فاس. فالتحديد يتم انطلاقا من المركز وليس من الهوامش كما يفترض (على طريقة انتشار الذبذبات في الماء). وتتعدد المراكز بتعدد المدن الإقليمية بحيث تشكل كل واحدة مجالا خاصا يتحكم فيه من يحتلها. وبتتبع الحركات نجد أن المجال المريني مقسم إلى سبع وحدات حسب توسع الدولة التدريجي: فاس وضواحيها وشبه الجزيرة الطنجية (طنجة - قصر المجاز- سبتة) والجزيرة الخضراء (كل الأراضي الأندلسية) والرباط ومراكش (أقاليمها: سوس- درعة- سجلماسة) وتلمسان وأحوازها وإفريقية (بجاية- قسنطينة- تونس). وتشكل هذه الوحدات حلقات حول حاضرة الملك التي هي فاس أو أي مكان يستقر به السلطان مهما كانت بساطته، إنه مجال متحرك مع حركة السلطان الذي يشكل القطب ومركز الجاذبية في الدولة، فكل العناصر تعيد نظامها بسرعة لتساير تنقله.

إذن فضعف وسائل الاتصال والقوة العسكرية الدائمة للتحكم في الهوامش يعوض بحضور السلاطين المادي والمعنوي عبر تحركاتهم الدائمة والمستنزفة. فهي تحركات لازمة وضرورية وكل سلطان فشل في الحفاظ على استمرارها لا يعمر طويلا في الحكم.

وتعمل الحركة أيضا على تحديد مجال آخر، وهو حدود سلطات عمال السلطان وممثليه، فهو يعمل على كبح جماحهم وميلهم إلى الاستبداد بالأمور والاستفراد بها دونه. فهذا أبو الحسن في زيارة له إلى مراكش يستجيب لشكايات السكان ضد متولي الأحباس فيحاسبه بشدة، لكن ثبوت عدله جعله ينصفه[266]. ولما زار طنجة وجهت إليه شكايات مفحشة في حق القاضي أبي محمد بن المليق فأمر بإسكات العامة[267]، وإذا كان مصدرنا لا يخبرنا بمآله فالمؤكد أنه حوسب. وفي زيارته لشالة عام 758هـ حقق أبو عنان في أحوال قاضيها

---

[266]- المسند، ص.311-312.

[267]- نفسه، ص.306-307.

البجائي لميله عن الحق ورفع مظالمه[268]. وفي ميلة أنصف الشيخ على بن ثابت من قائدها[269]. فكما يلاحظ فهذه الأعمال تتكرر في كل مكان من أرض الدولة مما يؤكد الرغبة في التحكم في هؤلاء الممثلين لسلطته وإنصاف المظلومين. ولم تسلم القبائل العربية المتجبرة بإفريقية من سطوة السلاطين، فأبو عنان يقيم "البريح" بزوال كل كلفها الضريبية المتعلقة بالخفارة والحماية[270]، بل أكثر من ذلك فرض عليها أداء ضرائبها المتأخرة لأربع سنوات بعد الحساب الدقيق[271].

وتحظى العامة في الحركات بعناية تهدف إلى دغدغة مشاعرها وكسب ودها وضمان ولائها، فإضافة إلى أعمال الإنصاف من العمال والقضاة وولاة الأحباس والقبائل العربية المتسلطة، كانت تحظى بالهبات والصدقات ويفسح لها المجال لتقترب من السلاطين وتكلمهم دون حواجز أو وسائط، ويحتفظ النميري بمجموعة من الأعمال التي قام بها أبو عنان عند دخوله قسنطينة عام 758هـ ومنها:

_ الصدقات على الفقراء والمساكين.

_ إجراء مرتبات لفقراء يرتبون في مساجدها.

_ تخصيص كسوة سنوية لشيوخ المساجد.

_ ختان أولاد الضعفاء كل يوم عاشوراء ومدهم بإحسان.

_ منح الفقراء أضحيات العيد.

_ إقامة أفراح المولد النبوي.

_ أداء ديون المعسرين المسجونين والأموات.

_ تخصيص جرايات للسجناء الفقراء.

وضمن ذلك ظهيرا قرئ بالمسجد الجامع بحضور عامة الناس.

إن الحركة تثبيت لسلطة السلاطين على مجالهم الترابي والسياسي والإداري وتصحيح للأوضاع في الأقاليم وتوزيع لبعض اهتمام السلاطين عليها، لذلك نجد العامة تفرح بخبرها عكس الولاة والأعداء الذين يتوجسون منها ويخافون عواقبها.

---

[268]- فيض، ص,201,

[269]- نفسه، ص.286.

[270]- نفسه، ص.282.

[271]- نفسه، ص,403 و465.

خاتمة

نجحت الحركة المرينية في أن تحقق لنفسها صورة خاصة على صعيدي التنظيم والوظيفة رمزيا وعمليا. وقد تمكنت من الزيادة من مظاهر الفخامة على النموذج السابق من ناحية الرموز والأدوات المستعملة، كما نجحت في احتواء المجال الترابي والسياسي والإداري للدولة بقمع الأعداء وإسكاتهم وكبح جماح العمال والإداريين وكسب ولاء وود الرعية بما تمارسه من قضاء للمظالم وحسبة وإحسان وأعمال بر. ومن خلال تتبع مكوناتها بدا واضحا أنها كانت عالة على النموذج الموحدي الذي أخذت منه الكثير من العناصر وكذلك طريقة تنظيمها وترتيبها، لكنها انفتحت أيضا على تجارب أخرى ومنها التجربة المصرية والشامية والعراقية وكذلك الإرث التاريخي لبني مرين وتقاليد العرب في شمال إفريقيا. وهي في هذه الحال تثبت أنها تدخل في إطار الاستمرارية التي عرفها الغرب الإسلامي بداية بالأمويين بالأندلس ومرورا بالموحدين ووصولا إلى الحفصيين.

%

الفصل الرابع

الدركلة في المغرب والأندلس

صورة مركبة

أكدت النماذج الثلاث التي حللت في الفصول السابقة أن الحركة عنصر ثابت في تاريخ المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، بل إنه حاضر في تاريخ المغرب في كل العصور وعند كل الدول والإمارات بما في ذلك الفترة الراهنة لما يلعبه من أدوار وما يحققه من نتائج. وإذا كنا قد ركزنا في بحثنا على هذه النماذج الثلاث فالأمر يرتبط أساسا بنضج التجربة عند هذه الدول لما بلغته من رقي وتأنق حضاري سمح بالاهتمام بتفاصيل صغيرة في الحياة اليومية ومنها هذا الجانب، وكذلك لتوفر المادة التاريخية المساعدة على الكتابة في الموضوع، وإلا فكل الدول تنظم حركات عند الحاجة وتخضعها لتنظيم محدد. وقد وضعت أسس الحركة وطورت مع الأمويين في الأندلس ثم أضاف الموحدون إضافات قوية مرتبطة بالخصوص بالجانب الذي برعوا فيه وهو الجانب الإيديولوجي، ولما جاء المرينيون؛ وكعادتهم في معظم الجوانب الحضارية للمغرب، الحقوا بالموكب الموحدي بعض التفاصيل الصغيرة؛ خاصة في ميدان الأمن والزخرفة، عكست حاجياتهم الجديدة.

شكلت الحركة عنصرا محوريا بالنسبة لدول المغرب والأندلس فالحكام يثبتون بها مدى جدارتهم لتولي السلطة وإقناع الرعية بكفاياتهم، لذلك يبادرون بمجرد تولي الأمر إلى تنظيم حركة كبيرة وقوية خاصة في الأندلس. وكانت الرعية تحدد مدى جدارة الحاكم بناء على مدى قدرته على قيادة الجيوش في حركات ضد أعدائه لذلك ينتقدون كل من يتخلف عن ذلك، وهذا مشهور في الأندلس وحتى في المغرب إذ كان من بين عيوب الخليفة المستنصر الموحدي إنه لم يخرج قط في حركة عدا زيارة قبر المهدي.

والحركة لا تؤدي دورا عسكريا فقط، بل إنها تقوم بأدوار ظاهرة وكامنة تمس فكر الدول وسياستها في التعامل مع مجالها ورعيتها ونظرتها إلى العلاقة مع الأعداء وطريقة معاملتهم بالهجوم والحرب الاستباقية. وتعدد الحركات لا يعكس دائما كثرة الاضطرابات وحالات العصيان المتكررة، ولكنه يبين أيضا مدى نشاط الحاكم وإشرافه على مجال حكمه وكذلك بحثه عن مورد اقتصادي ثابت سنويا وممارسة حرب استباقية واستنزافية على عدوه لضمان ضعفه والأمن من هجومه.

1- تنظيم الحركة

1-1- التوقيت

أثبتت التجارب الثلاث أن وقت تنظيم الحركة يرتبط بالنصف الدافئ من السنة؛ أي فصل الصيف، بينما يكون الشتاء مرحلة هدوء وسكون. وهذا يتوافق مع نظام حوض البحر المتوسط حيث تكون الفترة؛ وحتى الوقت الراهن، وقت نشاط وحركية. وعندما ندقق أكثر نجد أن الوقت الحقيقي للحركة ينحصر في شهور أبريل وماي ويونيو، لكنه قد يمتد حتى شتنبر أو أكتوبر إلا أن الخلفاء والسلاطين في الغالب يعودون إلى عواصمهم ويفضلون ترك مواصلة الحركة لقوادهم أو وزرائهم. وقد تنظم حركات في فصل الشتاء لكنها تبقى استثناء، وتأتي ردا على حركات تمرد خطيرة ومهددة لوجود الحاكم ونظام حكمه أو في فترات اضطراب الأحوال العامة في الدولة أو عندما يكون الحاكم قويا أو يريد إضفاء الشرعية على حكمه من خلال الجهاد، وتعتبر حالة الحاجب المنصور بن أبي عامر في الأندلس خير مثال على ذلك، فقد كان ينظم الشواتي والصوائف في كل سنة (32 شاتية).

يرتبط اختيار هذا الوقت بمجموعة من العوامل منها المناخية، حيث تعتدل الحرارة وتقل الأمطار والثلوج وينخفض علو الأمواج ويهدأ البحر مما يسهل العبور ويجعل المسالك مستعملة ومناسبة، والتموينية حيث توفر المنطقة المؤن الضرورية للمشاركين من كلإ وزرع أخضر وتبن وحبوب بعد الحصاد ومياه شرب وهذا مما يشجع القبائل على المشاركة ويشحن المقاتلين ويبعد العوائق الثانوية عن طريق الحركة، والعسكرية إذ اللحظة مناسبة لضرب قوة العدو من خلال سبقه إلى حصد محاصيله وتدميرها بالنسف والإحراق، وهذا يزرع الرعب في نفوس رعاياه وأتباعه ويضعف مقاومتهم ويحرمهم من القدرة على الصمود الطويل ما دامت مطاميرهم وأهراؤهم فارغة، بل ويجعلها مستحيلة في فصل الشتاء في ظل نظام اقتصادي يقوم على الاكتفاء.

يبدأ الاستعداد للحركة في شهر فبراير حتى إن "جدول قرطبة" لعريب يعتبر أن هذا الشهر هو شهر إرسال الرسائل إلى القبائل للحشد والاستعداد للغزو، أما الموحدون فتقول المصادر

إنهم يفضلون شهر صفر للخروج للغزو، وقد حاولنا أن نحدد موقع هذا الشهر في السنوات التي عرفت حركات للخلفاء الموحدين؛ كما هو مبين في الفصل الثاني، بالنسبة للسنة الشمسية فوجدنا أنها تتراوح بين شهري فبرائر وأكتوبر مما يؤكد ما ذهبنا إليه أعلاه فيما يتعلق بوقت وزمان الحركة.

وخلاصة الكلام إن الحركة تنظم خلال الفترة الدافئة من السنة (مارس-أكتوبر)، ولكن أساسا في فترة الربيع ما بين شهري أبريل ويونيو دون أن يمنع ذلك من وجود حالات استثنائية.

2-1- تجميع المشاركين

يعلن عن تنظيم الحركة في الأندلس في شهر فبرائر من كل سنة كما ثبت أعلاه إلا في حالات نادرة[272] لارتباطها بالجهاد في الجبهة الشمالية، أو لوجود سبب وجيه بالنسبة لباقي الدول. وحسب أهمية الحركة وظرفيتها تتحدد طريقة الدعوة. ففي الحالات العادية ترسل الرسائل للقبائل للاستعداد وتحديد موعد اللقاء ومكان التجمع فتقرأ الرسائل في المساجد لتحريض الناس على الجهاد والمشاركة، وعندما تكون الحركة ذات أهمية كبيرة أو تنظم في ظروف صعبة فإن الحكام يرسلون مبعوثين خاصين إلى القبائل؛ أو على الأقل، إلى تلك الأكثر أهمية وثقلا، تتراوح مكانتهم بين ولاة العهد والحجاب والوزراء وكبار الفقهاء والقواد العسكريين الذين يفاوضون القبائل على مشاركتها ويظهرون المكانة والتشريف الذي تحظى به عند الحاكم ويحملونها عبئ النصرة الذي يلزمها إن قبلت به بالتفاني في القتال والوقوف إلى جانب الحاكم.

اعتاد الحكام عند الاعلان عن الحركة أن يخرجوا خيمهم وفساطيطهم إلى ضواحي العاصمة حيث يقيمون بها ولا يعودون إلى قصورهم إلا لماما، وتدوم هذه الفترة ما يقارب الشهر. وقد أطلق اسم فحص السرادق على المكان الذي ينصب فيه في الربض الجنوبي

- عندما تكون السنة عجفاء بسبب الجفاف أو لانتشار المرض والوباء أو لمرض السلطان أو عجزه عن جمع الجموع والنفقة عليها.[272]

لقرطبة واشتهر مكانه في باب دكالة بمراكش وخارج المدينة البيضاء بفاس. ويقصد الحكام بهذا الإجراء أن يظهروا صدق عزمهم على الغزو ويشجعوا القبائل على المبادرة، ويوفروا نقطة لتجمع القبائل قبل الانطلاق، كما أنهم يختبرون مدى استجابة رعاياهم لدعوتهم واستعدادهم للغزو فكم من غزوة لم تتجاوز هذه المرحلة إذ عاد الحكام لتفكيك فساطيطهم بعد ملاحظة فتور الناس وضعف استجابتهم، وفي هذا السلوك أيضا مناورة وتهديد للثوار والمخالفين، ففي حالات كثيرة كان خبر نصب الفسطاط كافيا لتفريق أتباع ثوار وإلقاء الزعماء للسلاح وطلب الصلح والعفو، وهو ما يستغله الحاكم فتتحقق الغاية دون سفك دم أو تحريك فرس أو صرف دينار أو درهم.

يكون تجمع المشاركين في العادة في العاصمة، لكن كثرة الأعداد وما يسببه من اكتظاظ وفوضى أو الحاجة |إلى تعجيل المسير، قد يدفع الحكام إلى الاكتفاء بتجمع جزئي بالعاصمة حيث تؤمر القبائل الأساسية وكذلك القريبة منها بالحضور إلى جوار الحاكم مما يضمن حدا أدنى من المشاركة، بينما تحدد للأخرى نقط تجمع أخرى على طول طريق الحركة. فلا يكاد الجيش يصل إلى الثغر المشرف على العدو أو نقطة العبور أو الحدود الشرقية للمغرب حتى تكون الجيوش قد اكتملت، فتستعرض ويعرف عددها وعدتها ويحدد المتخلفون وتوضع خطط الهجوم.

تجمع كامل للجيش في العاصمة أو تجمع تدريجي على طول الطريق قبل دخول أرض العدو.

3-1- تموين الحركة

يظهر أن الحكام لا يتكلفون بتموين المشاركين بشكل مباشر ويقتصرون على المقربين منهم والجيوش النظامية. ويعتمد تموين المشاركين على مصادر متنوعة، ومنها:

- إلزام القبائل التي تمر الحركة عبر أراضيها بتوفير العلف (الشعير والتبن) للدواب والأكل للرجال، وقد شكل هذا الأمر عبئا ثقيلا عليها لذلك كانت تتخوف من مرور الحركات بأراضيها وتتجنبه كلما أمكنها ذلك.
- غارات العلافة: تطلق غارات لجمع الأعلاف والأطعمة أثناء مسير الحركة وخاصة عند دخول أرض العدو، وتقوم بانتزاع العلف والأطعمة من السكان المسالمين، ويرافقها عسف وظلم شديدين، لذلك فالعدو يحاول قدر الاستطاعة تجريد مناطق مرور حركة عدوه من كل ما يمكن أن يسعفها في العلف والطعام.
- ضيافات تطوعية من بعض الأعيان والقبائل للجيوش.
- سوق المحلة الذي يوفر كل الحاجيات الضرورية للمشاركين، فالحركة تجلب مجموعة من التجار الذين يرافقونها بحثا عما تدره من أرباح.
- الغنائم التي تؤخذ من العدو بعد المواجهات، وحسب حجمها يتحدد مستوى الرخاء في الحملة ومستقبلها ونجاحها.
- مخازن الدولة عبر محطات مرور الحركة (الرباط – تلمسان - سبتة...)، وهذا إجراء خاص بالموحدين الذين منعوا المشاركين في الحركات من المس بممتلكات السكان أو فرض أي شيء عليها إلا أن يكون تطوعا، حتى إن جيوشهم تمر وسط الحقول دون أن تمس سنبلة واحدة منها كما تقول المصادر. وقد كان من مهام الولاة والعمال الموحدين جمع المؤن في مواسمها والتطيين عليها في انتظار مرور الحركات لاستعمالها وكل تقصير في ذلك يعرضهم للعقاب والعزل.

ويعتبر التموين مسألة خطيرة في مصير الحملة فكثير من الحملات فشلت لعجز منظميها عن توفير التموين الضروري إما تقصيرا أو لانعدام المؤن بمناطق مرورها.

4-1- المشي ومحطات الاستراحة

بانتهاء فترة الانتظار تنطلق الحركة في وقت محدد؛ عادة ما يكون صباحا وبعد صلاة الصبح، ووفق ترتيب دقيق؛ ينبني على مكانة وموقع كل فئة داخل الدولة، وطقوس مضبوطة تتضمن استعراض الجيوش وتلاوة الفقهاء للقرآن والأحاديث النبوية ودعوات الزهاد والمتصوفة حتى إن الموكب الموحدي كان أقرب إلى موكب متصوفة منه إلى موكب حاكم زماني. وتضرب الطبول وتعزف الموسيقى. وتتكرر هذه الطقوس عند كل ركوب ونزول. وتحضر الخاصة والعامة هذه اللحظة لتوديع الحاكم ومرافقيه وللفرجة والاستمتاع.

يكون سير الحركة بطيئا بحيث تقطع في كل يوم مرحلة (ما بين 30 و40 كلم)، لكن هذه السرعة قد تزداد عند الخوف أو وجود طارئ. وتنتهي كل مرحلة بمحطة ينزل بها الموكب، لكنها تختلف في أهميتها فهناك محطات ثانوية ودون أهمية ولا تصلح إلا للراحة والتموين البسيط ومحطات رئيسية تتوقف فيها الحركة فترات طويلة، وتوافق المدن الكبرى والعواصم الإقليمية مثل الرباط وفاس وتلمسان وبجاية وتونس وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة والجزيرة...

نادرا ما ينزل الحكام في المدن رغبة منهم في الحفاظ على نية الغزو وحماس المشاركين، وكذلك لتجنيب المدن فوضى الجيوش وأعدادها الكبيرة. وعندما ينتهي بهم السير عند مدينة فنادرا ما ينزلون داخل قصورهم أو قصور أتباعهم، ويختارون نصب مخيماتهم خارجها والنزول في خيام تفننوا في تجميلها وتطويرها، وبلغت الأوج مع الموحدين والمرينيين الذين اخترعوا قصرا من الكتان سموه أفراك وضم عددا من المرافق والغرف ومسجدا...

لا تمثل المراحل فترة راحة، فعندما يتوقف السير تبدأ أنشطة؛ ربما، أصعب وأعقد للحكام. فخلال هذه الوقفة يقوم الحاكم بمهامه اليومية مثل: تلقي البريد والرد عليه والاجتماع بأعضاء حكومته وتعيين وعزل موظفين واستقبال سفراء يلتحقون به وعقد مجلس المظالم ومحاسبة العمال والقضاة واستقبال العلماء والشعراء والأعيان والعامة وتنظيم رحلات صيد.

وتعتبر فترة توقف الحركة في محطة ما مناسبة فرجة للسكان المحليين وسياحة رائعة، إذ ينتشر الرقص والغناء وسباق الخيل بمشاركة أهل الحركة والسكان، كما تروج البضائع المحلية التي تجد سوقا في المحلة فتدر على السكان دخلا إضافيا وتوفر مصدرا لتموين الحركة.

حركة بطيئة تحقق أهدافا جانبية لكنها أساسية للحكم.

1-5- ترتيب الموكب وهيكلته

يسمح التمعن في هذه الهيكلة باكتشاف كل ما يتعلق بأنظمة الحكم في المغرب والأندلس في الفترة الوسيطية.

يظهر جليا أن الموكب يتخذ شكلا هرميا إذ يبدأ بقمة يحتلها الحاكم وينتهي بقاعدة عريضة تمثلها المحلة، وهو بهذا يعكس المجتمع في تراتبيته وتقسيماته ومواقع القرار فيه.

ويعكس الموكب بوضوح طبيعة السلطة في هذا المجتمع، فالحاكم هو السلطة الأولى في الدولة وصاحب القرار الأول وباقي المكونات تبع له ومنفذة لأوامره وتعليماته وما يسمح لها به وحسب الوقت الذي يختاره ويراه.

ويعرض الموكب كل مكونات السلطة في المغرب والأندلس في العصر الوسيط بجوانبها الفكرية-الإيديولوجية وجوانبها المادية من حاكم وموظفين بمختلف أصنافهم ورتبهم وعلماء وفقهاء وحماة الدولة بالسيف ومطعميها بإنتاج السلع الضرورية أو ترويجها.

العلم

↓↑

المرجعية الشرعية

↓↑

الخـــليـــفـــــــــة

↓↑

الأعـــــــلام والـطـبـــــــول

↓↑

الحـــــــــــاشـــــــيـــــــة

↓↑

الجـــــــــــــيـــــــــــــوش

↓↑

المـــــــــــــــحـــــــــــــــلـــــــــة

هيكلة موكب الحكام

في الغرب الإسلامي الوسيط

والموكب هو تحرك للحكومة بكاملها أو بالأحرى الدولة فحتى العاصمة الرسمية بدورها تتحرك تبعا للحاكم، فكل محطة؛ مهما كان حجمها، ينزل بها السلطان تصير عاصمة تتحول إليها وجهات أهل الدولة وضيوفها وكل من يتعامل معها، فإليها توجه الرسائل وبها يلتحق الخزانون ويؤمها السفراء ويزورها كل ذي حاجة. لذلك فالدولة تتنقل مع الحاكم ويحدد مركزها في كل محطة ينزل بها سواء كانت خلاء أو قرية أو مدينة داخل أرض الدولة أو خارجها. إن الدولة هي الحاكم والعاصمة هي مكان وجود الحاكم.

يعكس الموكب الحضور القوي لأسس الدول الفكرية والعقدية حيث تحتل رموزها مقدمة الهرم، وقد أخذ هذا الجانب بعدا كبيرا مع الدولة الموحدية تبعا لاهتماماتها المذهبية وتركيزها عليه، إذ أبرزت مستندات شرعيتها المتمثلة في المصحف الشريف (مصحف عثمان - مصحف المهدي) وكتب السنة (كتب السنة والموطإ) واحتفت بها بشكل كبير جدا بتخصيص زخرفة كبيرة للصناديق التي وضعت فيها والدواب التي تحملها وهو ما حافظ عليه المرينيون بعدهم وإن كان بدرجة أقل. لكن الأمويين في الحقيقة كانوا سباقين إلى ذلك بالرغم من أنهم لم يحتفوا بها بنفس البهرجة والزخرفة، فقد ألف الحكام أن يحملوا معهم مصحفا في حركاتهم حتى إلى أرض الحرب واستمر هذا التقليد حتى عام 327هـ/928م عندما انهزم الناصر في موقعة الخندق وفقد المصحف ولما افتداه بمال كثير توقف عن تعريضه للخطر، وعاد المنصور العامري لنفس التقليد باستعمال مصحف كتبه بيده.

لا تقتصر رموز الدولة على الكتب الشرعية، بل استعملت رموزا أخرى. أولها الأعلام التي يعج بها الموكب يتقدمها العالم الكبير الذي يوضع في مقدمة الموكب ويحمل لون الدولة ورمزها وعبارات تحدد مذهبها (علم العقاب - الراية البيضاء- العلم الأبيض)، وصار لكل جماعة علمها الخاص بها بلون ورمز تختاره مما يضفي على الموكب جمالا ويعطيه هيبة. وثانيها الطبول التي تستعمل بكثرة وتختلف أحجامها حسب طبيعة وظيفتها، وعلينا أن نتصور مفعول هذه الآلات عندما تضرب (يسمع الطبل الكبير الموحدي على بعد نصف مرحلة). وثالثها الآلات الموسيقية التركية (مزامير- أبواق - أجراس) التي أدخلها المرينيون، ولا يخفى دورها في التحميس والتنشيط على السير والقتال.

يظهر ترتيب الموكب الهاجس الأمني عند كل دولة، فإذا كان الخليفة الموحدي يتحرك دون مضايقة من الحرس ويضعهم خلفه[273]، فإن الموكبين الأموي والمريني يبينان أن الحاكم لا يأمن على نفسه حتى من حاشيته لذلك يحيط نفسه بالحرس ويضعه حاجزا بينه وبينهم.

يحرص الموكب على عكس قوة الدولة وفخامتها باعتماد عناصر كثيرة نذكر منها قوة الترتيب والتنظيم وكثرة الآلات وجماليتها من أعلام وطبول وآلات موسيقية متعددة، ولباس الحكام الذين يتميزون بلون ونوع خاص لا يشاركهم فيه أحد من الحاشية ولا يتسامحون في أي تجاوز في ذلك (اللون البنفسجي للخلفاء الموحديين- البرنس الأبيض للحاكم المريني)، وفخامة لباس الحاشية، وفخامة الركوبات وآلاتها وجمالية لباس الحرس، وأضاف المرينيون؛ على عادة العرب والترك، القيان الجميلات بلباسهن الجميل والمكشوف وأصواتهن الشجية وهوادجهن الأنيقة، ثم الفساطيط والخيام الجميلة عند النزول (خيام- فساطيط- أفراك) ...

ولا يتخلف سوق المحلة بدوره عن عكس قوة الموكب، فكلما كان نشيطا ورائجا وواسعا كلما عكس قوة الحاكم ومستوى الأمان والثقة في دولته، مما يزيد من الدعاية للنظام ويرهب أعداءه أكثر.

حاصل الكلام إن الحركة هي نسق يلخص نظام حكم بكل تفاصيل تكوينه وتنظيمه وعمله وقدرته على التحرك في مرونة ورشاقة، وكأننا في استعراض حيث يختلط الممثلون في كل مرة ليخلقوا أشكالا جديدة وبسرعة عجيبة. فلماذا كل هذا الجهد؟

2- وظائف الحركة

2-1- ضبط مجال الحاكم والدولة

تعتبر الحركة الوسيلة الرئيسية للحاكم لإثبات وجوده وسلطته في الأقاليم والمناطق الهامشية وفي عقول ساكنتها وأذهان جيرانه المتاخمين لبلده في ظل ضعف وسائل التواصل وندرتها

273 - عندما فتح عبد المؤمن فاس وهدم جزءا من سورها انتقد في ذلك فرد بأن السيوف هي أسوار الموحدين، ويعكس هذا الأمر تكاثف النظام الموحدي وقلة الخيانة في الوسط الحاكم خاصة في فترة القوة.

وفي ظل انعدام حدود ملموسة. والحركة أيضا استجابة لرغبة المحكومين في المعرفة المادية بحاكمهم. وقد ظلت هذه الوظيفة حاضرة عبر العصور وحتى الوقت الراهن وعبر العالم كله. والحكام بهذا التصرف يقومون بسلوك غريزي موجود عند كل المخلوقات (إنسان - حيوانات – حشرات) وهو وضع علامات (براز- بول- رائحة- علامة...) على حدود مجال نفوذهم. ومن خلال النماذج المدروسة يمكن أن نتصور مجال الدولة على شكل دوائر تتخذ من محطة نزول الحاكم مركزا لها يتنقل باستمرار تبعا لتحرك الموكب، وتتغير العاصمة أيضا وتتناوب على هذا الدور المدن الكبرى في المجال المغربي – الأندلسي: مراكش – الرباط - فاس- سبتة- تلمسان- بجاية- تونس- القيروان- إشبيلية- قرطبة- الجزيرة الخضراء...).

وتسمح الحركة بالكشف عن الطريقة التي يتصور بها المجال في الغرب الإسلامي الوسيط، فهو مجال مكون من دوائر متراتبة تتقدمها دائرة كبرى تتخذ من العاصمة الرسمية مركزها وتمتد أطرافها إلى أقصى حدود الدولة، ودوائر إقليمية تتخذ من العواصم الإقليمية مراكز لها. وبناء على ذلك تقسم البلاد إلى عدة وحدات. ويمكن على سبيل المثال أن نتحدث في العهد الموحدي عن الوحدات التالية: مراكش وإقليمها والرباط وإقليمها وفاس وإقليمها وسبتة وإقليمها وتلمسان وإقليمها وبجاية وإقليمها وتونس وإقليمها والقيروان وإقليمها وإشبيلية وإقليمها وقرطبة وإقليمها. وتتشكل داخل هذه الأقاليم بدورها دوائر أصغر تبعا لأهمية المراكز الحضرية التي يحتضنها.

وتساهم الحركة في تحديد المجال معنويا وذهنيا بتذكير العمال والولاة؛ خاصة ممن ينتمون إلى الأسرة الحاكمة والذين قد يتصرفون وكأنهم أصحاب السلطة الحقيقيين، والرعية أن هناك حاكما أعلى يتحكم في هذه الدولة وأنه صاحب السلطة الأول. لذلك يحرص الحكام على محاسبة الولاة والعمال والمشرفين والاستماع إلى شكاوى السكان ضدهم والاقتصاص منهم بالمحاسبة أو انتزاع الحقوق منهم أو العزل أو المصادرة أو السجن أو القتل. ويعقد الحكام أيضا مجالس مظالم لتعديل أحكام جائرة وترضية الرعية مما يكسبهم ودها ودعمها ويعمق ارتباطها بهم ويزيدهم هيبة في نفوسها ويعزز سلطتهم المركزية.

ويتحدد المجال أيضا وتحفظ حدوده بتذكير الأعداء الداخليين والخارجيين؛ على حد سواء، بان الحاكم دائم الحضور وقوي السطوة وبإمكانه؛ في أي لحظة، اللحاق بهم ومعاقبتهم، لذلك فأغلب المتمردين (ثوار داخليون) أو المتربصين بالحدود الخارجية (المسيحيون في الأندلس بالخصوص) يستكينون ويوقفون أذاهم عند التوصل بخبر خروج حركة أو اقترابها من مجالهم ومنهم من يتقدم لطلب الصلح خوفا من العواقب وتجنبا لأضرارها. ولا يمكن أن نقول إن الحكام الذين يكثرون الحركة يضمنون هدوء أكبر لبلادهم، لكنهم عادة ما يصنفون ضمن أقوى الحكام.

الحركة وسيلة لضبط مجال الدولة ماديا بتثبيت حدوده ومعنويا بتذكير الأولياء والأعداء؛ على حد سواء، بقوة الحاكم وعلو سلطته على كل سلطة وأنه مستعد إن اقتضى الأمر لاستعمال العنف لتحقيق ذلك.

2-2- الحركة دعاية للدولة وتكريس لهيبتها

تمثل كل مكونات الحركة دعاية جيدة أو سيئة للدولة، وقد وعى الكتاب المعاصرون الأمر فكانوا يشيرون إلى هزالة وحقارة موكب بعض الحكام كدليل على ضعفهم ومهانتهم. ولذلك يهتم الحكام بكل تفاصيل الحركة مهما صغرت أو دقت. ومن خلال تتبع هيئة المواكب الثلاثة المدروسة ومهام الحكام أثناء تنقلهم يمكن أن نستنتج مجموعة من العناصر التي تكرس قوة الدولة وتزيد من هيبتها ومنها:

- ضخامة الحركة وأعداد المشاركين فيها (وصلت إلى نصف المليون في عهد الموحدين) يمثل في حد ذاته استعراضا للقوة وإبرازا لضخامة الدولة، فالدولة التي تجمع هذه الأعداد دولة كبيرة ومرهوبة الجانب.
- فخامة الموكب: يحظى بعناية كبيرة ويركز على التأثير البصري والسمعي لغزو النفوس والقلوب، ويضم عناصر كثيرة منها: كثرة الأعلام وتعدد ألوانها وأشكالها يتقدمها العلم الرسمي الذي يوضع في مقدمة الموكب، وتلعب دورا مزدوجا يجمع بين الجمال والرقة والقوة والقهر، وتعدد الطبول وضخامتها وقوة صوتها عند قرعها

فهي تهز النفوس وتزرع فيها الرعب من مسافات بعيدة، وتنوع الآلات الموسيقية كالأجراس والأبواق والمزامير والأجراس... وهي تزيد من هيبة الموكب. وأزياء المشاركين الفخمة والأنيقة يتقدمها الحاكم بلباسه المتميز والفريد وهوادج الحريم والقيان الجميلة والأنيقة وإنشاد ساكناتها، وزي وسلاح الحرس الأنيق والمتنوع، ثم الاحتفالات الصاخبة التي تقام في محطات النزول والتي تجتذب جمهورا عريضا من السكان المحليين للفرجة وتعرف بإمكانيات الدولة الكبيرة وقوتها وصلابتها.

- الرموز الدينية: تعرض الحملة الأسس الدينية للدولة من خلال عرض المصحف العثماني وكتب الصحاح في أحسن حلة وأفخم منظر، والحاكم بهذا يقول للنظارة إن سلطته تنبع من نيابته في الأرض عن صاحب هذه الكتب وأنه يعمل بأحكامها ويوقرها ويحترمها وكل من خالفه حاربه على أساسها وقاتله دون هوادة. ولا شك أن هذا يؤثر في الساكنة التي تقتنع بتقوى حاكمها وتمسكه بالشرع. ويضاف إلى هذا ما يكتب في العلم الكبير من عبارات توحيد وشهادة، وحضور الفقهاء والعلماء لتلاوة القرآن والأحاديث عند الركوب والنزول والأذان للصلاة وإقامة صلوات الجماعة في المخيمات والاحتفال بالمناسبات الدينية خاصة الأعياد (الفطر-الأضحى-المولد) التي تصادف زمان الحركة وإحضار الشعراء والعلماء والفقهاء والمتصوفة للتلاوة والإنشاد.
- زيارة الزهاد والمتصوفة الأحياء وقبور من مات منهم والتبرك بهم وتحقيق مطالب حفدتهم.
- عقد مجالس للمظالم في محطات النزول الرئيسية ورد الحقوق لعامة الناس ومحاسبة الحكام والعمال والأعيان المتنفذين وتنفيذ الأحكام في الحال مما يجعل الرعية تتعلق بالحاكم وتزداد خضوعا له.
- أعمال البر: الحركة مناسبة للاقتراب من هموم العامة وخاصة الفقراء لذلك يحرص الحكام على إفشاء الصدقات وتوزيع الأموال على الناس وإعذار الأطفال وتحرير المساجين وأداء ديون المعسرين والسجناء والأموات وإيواء العجزة والمعدمين

وعلاج المرضى. وهم بذلك يستجيبون لحاجيات عاجلة عند السلكان مما يرفع أسهمهم.

- الاهتمام بأولاد وحفدة أولياء الدول السابقين ودعمهم بالإقطاعات والأموال اعترافا بخدمات آبائهم أو أجدادهم مما يكسب الدولة مزيدا من الأتباع ويحافظ لها على أتباعها.
- التشييد والبناء: الحركة مناسبة لإنجاز أعمال عمرانية أو إعطاء الأمر بإنجازها كبناء القصور والقصبات والحصون والمساجد وصوامعها والزوايا والأرصفة والقناطر ومد قنوات الماء وترصيف طرق وبناء دور أيتام وأضرحة أولياء...

خلاصة الكلام إن الحركة مناسبة لتعريف الأطراف بالحاكم الأعلى للدولة ونشر الدعاية لها وترسيخ نفوذها في مختلف نقط مرورها بوسائل متطورة ومتنوعة تعمل على الإقناع والغزو النفسي والترغيب والترهيب.

خاتمة

تنجز الحركات وفق تنظيم محكم ومضبوط وتؤدي وظائف متنوعة عسكرية/أمنية واقتصادية ومجالية ودعائية واجتماعية، مما يجعلها عنصرا ضروريا وأساسيا للحكم في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بل وفي كل مناطق العالم وكل العصور بما فيها الفترة الراهنة.

خاتمة

شكلت الحركة عنصرا ثابتا في مختلف أجهزة الحكم في المغرب الأندلس في العصر الوسيط، وقد بدأ تنظيمها في القرن الثامن الهجري ونضجت في القرن العاشر في الأندلس. وقد صار هذا النموذج مرجعا لكل دول المنطقة خاصة في المغرب الأقصى. ولم يقتصر دور دول المغرب سواء الموحدين أو المرينيين على النقل السلبي لهذا النموذج، بل إنها أغنته بإضافات جيدة تتوافق مع توجهاته العامة. فقد أضاف الموحدون وأظهروا البعد الأيديولوجي للحركة بالتركيز على عرض مرتكزاتهم المذهبية في مقدمة الموكب وعبروا عنها بالصوت والصورة بمشاركة الخلفاء والطلبة والعلماء. أما المرينيون فقد ركزوا على جانبي الأمن والجمال والأبهة فزادوا من حجم الحرس وبوأوه مكانة بارزة في الموكب كما أضافوا عناصر أبهة جلبوها من مصر والعراق والقبائل العربية تكشف قلة تمسكهم بالمبادئ الدينية وميلهم إلى المتعة.

لم يكن تنظيم الحركة اختيارا ولا أبهة من الحكام، بل ضرورة ملحة اقتضتها تقاليد الحكم والحاجيات العسكرية والإدارية والمجالية وضغط العامة والرعية التي لا تقبل حاكما ساكنا وخاملا.

تنوعت وظائف الحركة بين ما هو معنوي ومذهبي إيديولوجي يركز على الدعاية للدولة ونظامها بالاتصال المباشر بالرعية وعرض مذهبها أمامها وتعريفها بما تستطيع القيام به وإنجازه وإغراقها بإحسانها وخدماتها، وحماية مجالها من الأعداء والمتمردين والأولياء والأعوان بمختلف أصنافهم وفرض هيبة الدولة. فالحركة في آخر المطاف هي حماية لمجال الدولة بالحضور الفعلي للحاكم الأعلى.

لا يجب أن ننهي كلامنا دون أن ننوه بالقدرات التنظيمية الكبيرة التي أبانت عنها هذه الدول الثلاثة التي كانت موضوع الدراسة، فمجرد التفكير في الدقة التي تنفذ بها أوامرها وفي جمع نصف مليون من المقاتلين مع من يرافقهم وضبط حركتهم على مدى أشهر وعلى امتداد آلاف الفراسخ والحفاظ على أمنهم وتوفير غذائهم وتوجيهم للغاية المعقدة التي جاءت الحركة من أجلها، يجعلنا نفهم بالضبط لماذا كانت قرطبة في القرن العاشر الهجري قبلة

الغرب المسيحي، ولماذا بنى الموحدون هذا المذهب المتكامل في عناصره وهذه المنشآت الضخمة المقاومة للزمان، ولماذا هذه الجمالية الكبيرة لما خلفه المرينيون من منشآت في مدينة فاس.

خلاصة الكلام إن الحركة عنصر ضروري لممارسة الحكم في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، وهي نسق معقد لا يفهم إلا بتفكيك عناصره. إنها طريقة للحكم.

%

فهرس الجداول والخطاطات والخرائط

ر.ت.	جدول أو خطاطة أو خريطة	صفحة
1	جدول غزوات الناصر	30
2	جدول الحركات الموحدية في عصر القوة	39
3	خطاطة موكب الغزوة	21
4	خطاطة الموكب الموحدي	41
5	خطاطة الموكب المريني	62
6	خطاطة الموكب المريني عند الوزان	63
7	خطاطة هيكلة موكب الحكام	92
9	خريطة غزوات عبد الرحمن الناصر	32
10	خريطة الحركات الموحدية	51
11	خريطة الحركات المرينية	78

بيبليوغرافيا

المصادر:

1- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2 أ ج ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

2- البكري، أبو عبيد (ت 487هـ/1094م)، جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، دار الإرشاد، بيروت،1968 (الطبعة1) .

3- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، نشر دوسلان، 1857 .

4- ابن الابار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، 2أج، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1955.

5- ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1.

6- ابن أبي زرع، علي الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972.

7- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973.

8- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت،1979، ج11

9- ابن الأحمر وآخرون، بيوتات فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.

10- ابن الأحمر، إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط،1962.

11- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس،2أج، نشر السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة،1955.

12- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 778هـ/1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج4، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997.

13- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعدية إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، 1994.

14- ابن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، نشر شوقي ضيف، مطبعة جامعة فؤاد الأول،1951.

15-ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 3أج، دار المعرفة، بيروت، 1975، (طبعةII) .

16- ابن حوقل، أبو القاسم، كتاب المسالك والممالك، نشر جويخ، مطبعة بريل، بريل، ليدن، 1973.

17- ابن حيان، أبو مروان بن خلف القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ج2، تحقيق محمود علي مكي، ، 2002.

18- ابن حيان، أبو مروان بن خلف القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ج2، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.

19-ابن حيان، ج 3، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، البيضاء، 1990 (طبعة1).

20- ابن حيان، ج5، نشر شالميتا وف . كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979.

21- ابن حيان، ج6، تحقيق عبد الرحمن علي حجي ، دار الثقافة، بيروت، 1983.

22- ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ج2، تحقيق ليفي بروفنصال، دار المكشوف، بيروت، 1956 (طبعةII) .

23- ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ المغرب العربي، ج3، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، البيضاء، 1964.

24- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،7أج، نشر خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988، (طبعةII) .

25- ابن خلدون، أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، 3 مجلدات، نشر الفريد بيل ،مطبعة فونطانة ، الجزائر، 1911.
26- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت 671هـ/1272م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،8 أج، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت.
27- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7.
28- ابن رشد، البيان والتحصيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج2.
29- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2أج ، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964،(طبعةII).
30- ابن الشباط، وصف الأندلس وصقلية من كتاب "صلة السمط وسمة المرط" تحقيق احمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971.
31- ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت 594هـ/1198م)، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، (طبعة 3).
32- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس (أج 2 و4 و5و6) دار الثقافة، بيروت، وتحقيق ج1 و8 محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.
33- ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4أج تحقيق كولان وليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، 1983، (طبعة 3).
34- ابن عذاري، المراكشي، البيان، ج3 (قسم الموحدين)، تحقيق محمد بن تاويت وآخرين، دار الثقافة، البيضاء، 1985.
35- ابن القطان، نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
36- ابن القاسم، محمد الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1983، (طبعةII).
37- ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين.

38- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، 1971.

39- ابن مرزوق، محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981.

40- ابن مرزوق، محمد التلمساني، نخب من كتاب المسند، نشر وترجمة ليفي- بروفنسال، مجلة هسبريس، عدد 5، 1925، ص: (18-38).

41- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور، الرباط، 1971.

42- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب، دار المنصور، الرباط، 1971.

43- التنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899هـ/1494م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان من كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" تحقيق محمود بوعياد، الجزائر، 1985، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- التيجاني عبد الله بن محمد، الرحلة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981

44- الجزنائي علي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991،(طبعةII).

45- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي(ت 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية ،1966.

46- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

47- الزجالي، أبو يحي (ت 694هـ/1295م)، أمثال العوام في الأندلس، 2أج، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الثقافة بالمغرب.

48- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية، 1869،(طبعة I).

49- العبادي، أحمد مختار، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983.

50- العذري، أحمد بن عمر بن أنس ابن الدلائي (ت 478هـ/1085م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965.

51- العمري ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، ج4، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2001

52- العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، نشر محمد المنوني، مجلة البحث العلمي، عدد 1، 1964، ص: (131-153).

53- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1981،(طبعةI).

54- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985.

55- مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984.

56- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1979.

57- مجهول، رسائل رسمية موحدية، نشر ليفي بروفنصال، Librairie, Larose, Paris, 1942.

58- مجهول، مدونة تاريخية من عهد عبد الرحمن الناصر، نشر ليفي بروفنصال وإميليو كارثيا، مدريد، غرناطة، 1950.

59- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، البيضاء، 1978، (الطبعة VII).

60- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 10أج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
61- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، (ت 732هـ/1332م)، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق مصطفى أبو ضيف احمد، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985.
62- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، 2أج، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،(طبعة2).
63- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، 5أج، دار صادر، بيروت، 1977.
64- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626هـ/1229م)، معجم الأندلس والمغرب، جمع وتحقيق وتقديم محمد حقي، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2011.
65- DOZY, R, Calendrier de cordoue , E.J. Brill, Leiden, 1961

المراجع:

3- حقي محمد، الحركة أسلوب للحكم في العصر الوسيط: النموذج الموحدي، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد 27، سنة 2007.
4- حقي محمد، الحركة أسلوب للحكم في العصر الوسيط: النموذج المريني، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد 34، سنة 2014.
5- حقي محمد، الحركة أسلوب للحكم في العصر الوسيط: الغزوة في الأندلس، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد 35، سنة 2015.
6- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000
7- النجار عبد المجيد، المهدي ابن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983

8- BRYANT, L., la cérémonie de l'entrée de Paris au moyen âge (l'idéologie royale), Annales ESC, mai-juin, 1986, n°3, pp.(513-542).

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
الإهداء	03
التقديم	05
الفصل الأول: الغزوة الأموية	11
الفصل الثاني: الحركة الموحدية	35
الفصل الثالث: الحركة المرينية	57
الفصل الرابع: الحركة في المغرب والأندلس.	83
صورة مركبة	
خاتمة	99
فهرس الجداول والخطاطات والخرائط	103
بيبليوغرافيا	105
فهرس المواضيع	115

الإتصال بالمؤلف:

عنوان:

كلية الآداب ص.ب. 524 شارع ابن خلدون بنكي مولاي المغرب 23000.

الهاتف:

(+212) 0670232664

عنوان إلكتروني:

haqqim@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www.drmohamadhakki.net

مؤلفات المؤلف

- البربر في الأندلس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001 (جائزة المغرب للكتاب للعام 2001).
- الموقف من الموت، مطبعة مانيبال، بني ملال، 2007. (دعم المركز الوطني للبحث العلمي والتقني).
- الموقف من المرض، مطبعة مانيبال، بني ملال، 2007.
- معجم المغرب والأندلس من "معجم البلدان" لياقوت الحموي، جمع وتعليق وتقديم، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2011. (دعم جامعة السلطان مولاي سليمان).
- اليمنية في الأندلس، مطبعة عين أسردون، بني ملال، 2014. (دعم المركز الوطني للبحث العلمي والتقني).

مطبعة عين أسردون
بني ملال – المغرب
2016

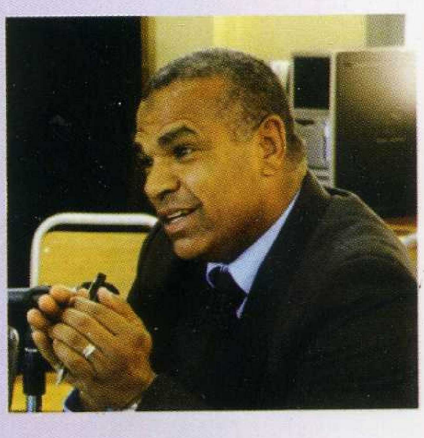

من مدينة تمكروت حاضرة ومركز إشعاع درعة الأول في إقليم زاكورة.
حاصل على دكتوراه الدولة في التاريخ الوسيط المغربي الأندلسي عام ٢٠٠١ من كلية الآداب التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط.
تلقى تكوينا بيداغوجيا في المدرسة العليا للأساتذة بالتقدم بالرباط ونال دبلوم الأهلية التربوية للتعليم الثانوي.
نال جائزة المغرب للكتاب في العام ٢٠٠١ عن كتاب "البربر في الأندلس".
احتل المرتبة الثانية في جائزة " "LE GRAND ATLAS في العام ٢٠٠٢ عن نفس الكتاب.
أستاذ باحث في كلية الآداب التابعة لجامعة السلطان مولاي سليمان ببني ملال.
يهتم الباحث بالتاريخ الثقافي والذهني والاجتماعي للمغرب والأندلس.
يشهد لأعماله العلمية بالمصداقية بحيث نالت كل كتبه دعما للنشر من المركز الوطني للبحث العلمي بالرباط (كتابان) وجامعة السلطان مولاي سليمان ووزارة الثقافة بناء على ملف علمي دقيق ومفصل.
يستدعى الدكتور لحضور أعمال علمية وندوات في المغرب والخارج؛ خاصة إسبانيا، من كليات الآداب والطب ومنتديات علمية معروفة، ويشارك في تقييم مقالات مجلات علمية.
الدكتور مدير فريق بحث بالكلية تحت اسم:

"التدين في جهة تادلة أزيلال:
الأولياء والأضرحة والأماكن المقدسة"

للمؤلف عدة كتب ومقالات متنوعة في تخصصه.